

اليهودية واليهود

بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

تأليف

الدكتور علي عبد الواحد وافي

دكتور في الآداب من جامعة باريس

عضو "المجمع الدولي لعلم الاجتماع"

معيد كلية الآداب بجامعة أم درمان

عميد كلية التربية بجامعة الأزهر

مؤيد كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقاً

دار تحف مصر للطبع والنشر

اليهودية واليهود

بحث في ديانة اليهود وتاريخهم
ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى

تأليف

الدكتور على عبد الواحد وافي

دكتور فى الآداب من جامعة باريس

عضو "المجمع الدولى لعلم الاجتماع"

معيد كلية الآداب بجامعة أم درمان

عميد كلية التربية بجامعة الأزهر

وكيل كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقا

دار نهضة مصر للطبع والنشر

القاهرة - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة

ينقسم بحثنا هذا قسمين: أحدهما لدراسة الديانة اليهودية؛ والآخر لدراسة تاريخ اليهود ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي. ولما كانت الديانة اليهودية تعتمد على مجموعتين من الأسفار: إحداهما مجموعة أسفار العهد القديم؛ والأخرى مجموعة أسفار التلمود؛ فسندرس في القسم الأول كلتا هاتين المجموعتين، وما تشتملان عليه من قصص وعقيدة وتشريع، وما انبثق عن تعاليمها من طوائف دينية عند اليهود.

وأما القسم الثاني فسنبفثه بنظرة مجملة في تاريخ بني إسرائيل، ونقف بقية فقراته على دراسة أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية في مختلف مراحل تاريخهم.

وسنغنى في كل قسم من هذين القسمين ببيان موقف الإسلام من موضوعاته.

ولما كانت ديانة اليهود وكتبها المقدسة هي أهم مصادر تاريخهم ، وهي أساس نظامهم الاجتماعى والاقتصادى ، فسيستأثر القسم الأول من بحثنا بأكثر قسط من العناية وأكبر حيز من الكتاب ؛ لأن مسائل القسم الثانى تتوقف على مسأله.

والله نسأل أن يهدينا الصراط المستقيم ويهيء لنا من أمرنا رشداً ، إنه سميع مجيب.

دكتور على عبد الواحد وافي

القسم الأول
الديانة اليهودية

الباب الأول

«العهد القديم» و «التلمود»

الفصل الأول

العهد القديم

- ١ -

أسفار العهد القديم

اعتمد اليهود من أسفارهم تسعة وثلاثين سفرا أطلق عليها في العصور المسيحية اسم «العهد القديم» Ancien Testament للفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» Nouveau Testament . واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفارا مقدسة أى موحى بها.

ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق ، أى إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه alliance . فأولاهما تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى ؛ والأخرى تمثل ميثاقا جديدا من عهد عيسى .

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام :

(القسم الأول) كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو «البانتاتيك»

Pentateuque: du grec “Penta” cinq et “teukhos” livres

وهى : سفر التكوين ؛ وسفر الخروج ؛ وسفر التثنية ؛ وسفر اللاويين ؛ وسفر العدد .

وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة في نظر اليهود.

أما سفر التكوين Genese فيقص تاريخ العالم ، من تكوين السماوات والأرض (ومن ثم سمي سفر «التكوين») إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل (وهو اسم آخر أو لقب ليعقوب) في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام (أحد أبناء نوح ، وهو الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل) ، وخاصة إبراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ، وإجمال فيما عدا ذلك.

وأما سفر الخروج Exode فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل (ومن ثم سمي سفر «الخروج») وتاريخهم في أثناء مرحلة «التيه» التي قضوها في صحراء سينا واستغرقت أربعين عاما ، وهي التي يشير إليها القرآن الكريم إذ يقول : «قال فإنها محرمة عليهم» (أى أرض الميعاد ، وهي بلاد كنعان التي وعدهم الله بها ، وحرمها عليهم جزاء لهم على تقاعسهم عن قتال الكنعانيين) «أربعين سنة يتيهون في الأرض»^(١). وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات... وما إلى ذلك

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة

(١) آية ٢٦ من سورة المائدة .

بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات..
وهلم جرا. وسمى «التثنية» لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه
وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل.

(Deutéronome du grec “déuterōnion” seconde loi)

وأما سفر «اللاويين» فقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما
تعلق منها بالأضحية والقرايين والمحرمات من الحيوانات والطيور. واللاويون
هم نسل «لاوى» أو «لبنى» Levi أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى
وهرون. وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح
والأضحية والقرايين والقوامين على الشريعة اليهودية ومن ثم نسب إليهم
هذا الكتاب الذى شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

وأما سفر العدد Nombres فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل
بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم (ومن
ثم سمي «سفر العدد») وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات.

(والقسم الثانى) يسمى بالأسفار التاريخية وهى اثنا عشر سفرا تعرض
لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى
فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى
شئونهم. وهى أسفار يوشع^(٢) Josue والقضاة^(٣) juges وراعوث^(٤)

(٢) يوشع هو قى موسى وخليفته، وهو الذى قاد جيش بني إسرائيل فى دخوله بلاد كنعان
وإنجازه على أهلها واستيلائه عليها بعد موت موسى.

(٣) لقضاة هم الذين تولوا الإشراف على بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد كنعان.

(٤) راعوث هى جدة داود من جهة أبيه.

Ruth وصموئيل^(٥) (سفران) والملوك^(٦) (سفران) واخبار الأيام^(٧)
(سفران) وعزرا^(٨) Esdras ونحميا^(٩) Néhémie وإستير^(١٠) Esther :

(٥) صموئيل هو أحد أنبيائهم وآخر قضاتهم. وهو الذى عين طالوت Saul بوحى من الله ملكا على بنى إسرائيل ليتولى قيادتهم فى حروبهم ضد جالوت Goliath (ملك الفينيقيين) وجنوده. وقد كتب له النصر عليهم. وكان ذلك بفضل داود الذى قتل جالوت. وتولى داود الملك بعد طالوت، ثم تولى سليمان الملك بعد أبيه داود. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة فى آيات ٢٤٦ - ٢٥١ من سورة البقرة.

(٦) الملوك هم الذين تولوا الحكم بعد القضاة، وأولهم طالوت ثم داود ثم سليمان. ولكن السفر الأول من سفرى الملوك يبدأ بتاريخ سليمان.

(٧) تعرض الإصحاحات التسعة الأولى من السفر الأول من أخبار الأيام لشجرة النسب من آدم إلى بنى إسرائيل. وما بقى من هذا السفر يعرض لتاريخ داود. وتعرض الإصحاحات التسعة الأولى من السفر الثانى لتاريخ سليمان. وما بقى من هذا السفر يعرض للتاريخ السياسى لبنى إسرائيل بعد سليمان.

(٨) يرجع إلى عزرا الفضل فى إعادة طائفة من بنى إسرائيل فى القرن الخامس ق م من متفاهم فى بابل إلى أوطانهم. وقد حرر الديانة اليهودية وأعاد إليها بعض معالمها. وجدد بناء بيت المقدس. وإليه ينسب تحرير كثير من أسفار العهد القديم التى كانت قد احترقت فى أثناء الغزو البابلي. وقد نال عزرا منزلة كبيرة فى نفوس بنى إسرائيل حتى لقد اعتقدت بعض فرقهم أنه ابن الله. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول: «وقالت اليهود عزيز ابن الله» (آية ٣٠ من التوبة).

(٩) يرجع إلى نحميا الفضل فى قبول ملك الفرس مساعدة عزرا فى تجديد أبنية بيت المقدس.

(١٠) إستير سفر صغير يشتمل على تسعة إصحاحات تروى قصة إستير. وهى إسرائيلية كانت زوجة لأحد ملوك الفرس وهو إخشرشيش Assureus. وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان. وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود. فأحبطت إستير كيدته، ودبرت هى مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره، ومكنت اليهود من ذبح آلاف من بنى قومه، كان منهم كثير من الأطفال والنساء. وساعدها فى ذلك يهودى آخر اسمه مردخاى. وهامان المذكور فى هذه القصة هو غير هامان وزير فرعون الذى ورد ذكره فى آية ٣٨ من سورة القصص وفى آيتى ٣٦، ٣٧ من سورة غافر. ويحتفل اليهود بذكرى نجاتهم من هذه المذبحة فى عيد يسمى عيد إستير أو عيد البوريم. ويقع فى شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة.

(والقسم الثالث) يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي أناشيد ومواعظ معظمها ديني مؤلفة تأليفا شعريا في أساليب بليغة، وعددها خمسة أسفار، وهي: سفر أيوب Job (ويبدو من عباراته أن أيوب صاحبه من بني عيسو وهو أخو يعقوب التوأم وليس من بني إسرائيل، وهو أيوب المذكور في القرآن)، ومزامير داود Psalms؛ وأمثال سليمان Proverbs؛ والجامعة من كلام سليمان Ecclesiastes؛ ونشيد الأناشيد لسليمان Cantique des Cantiques.

(والقسم الرابع) يسمى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا يعرض كل منها لتاريخ نبي من الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى وهارون وهي أسفار أشعيا Esaïe وأرميا Jérémie ومرثى أرميا Lamantations de Jérémie وحذقيال Ezechiel ودانيال Daniel وهوشع Osée ويوثيل Joël وعاموس Amos ويوبديا Abdias ويونس Jonas وميخا Michee وناحوم Nahum وحبقوق Habakuk وصُفُنْيا Sophonie وحوَجِّي Aggée وزكريا Zacharie وهو غير زكريا أبي يحيى الذي ورد ذكره في القرآن والأنجيل، وملاحي Malachie... وجميع هؤلاء الأنبياء إسرائيليون وأرسلوا إلى بني إسرائيل ما عدا يونس فإنه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل إلى نينوى، وهو النبي يونس المذكور في القرآن.

التوراة أو أسفار موسى أو الأسفار الخمسة

وتاريخ كل سفر منها

هذا، وأهم أسفار العهد القديم هي أسفار القسم الأول التي ينسبها اليهود إلى موسى ويعتقدون أنها بوحى من الله وأنها تتضمن التوراة.

ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وبتواريخ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها ألقت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (يقع عصر موسى على الأرجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد)، وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألف حوالى القرن التاسع قبل الميلاد (أى بعد موسى بنحو خمسة قرون أو ستة قرون)، وأن سفرى التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفرى العدد واللاوين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أى بعد النقي البابلي (وهو إجلاء بنى إسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد)، وأنها جميعها مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل،

كما سنذكر ذلك بشيء من التفصيل في الباب الثاني من هذا القسم عند كلامنا على ما تتضمنه هذه الأسفار من عقيدة وشرعة.

فهى إذن مختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله على موسى. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون»^(١١)؛ وإذ يقول: «... والله أعلم بأعدائكم، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً؛ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»^(١٢)، وإذ يقول: «فما نقضهم ميثاقهم (يعنى اليهود) لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به»^(١٣). وقد رأى عليه الصلاة والسلام ورقة من التوراة فى يد عمر فأمره بإلقائها وألا يضيع وقته فى قراءة ما بها من كذب وتحريف، ثم قال: «ألم آتكم بها بيضاء نقية؟! والله لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعى»؛ أى إن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير؛ وقد أنزل الله على الرسول عليه الصلاة والسلام ملخصاً لما كانت تشتمل عليه التوراة الصحيحة من عقيدة وشرعة وقصص، فأحياها فى صورتها الأولى نقية بيضاء، وأن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قرآن محمد.

(١١) آية ٧٩ من سورة البقرة.

(١٢) آيتى ٤٥ و ٤٦ من سورة النساء.

(١٣) آية ١٣ من سورة المائدة.

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة بشأن التواريخ التى ألفت فيها
هذه الكتب الخمسة ، وضعنا سفر التثنية فى ترتيبنا قبل سفرى اللاويين
والعدد ، لأنه قد ألفت فى عصر سابق للعصر الذى ألفت فيه هذان السفران
وإن كان الترتيب التقليدى للعهد القديم يضعه فى آخر الأسفار الخمسة .

بقية أسفار العهد القديم وتاريخ كل سفر منها

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما من الأسفار الأخرى للعهد القديم قد أُلّف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد، ويشمل هذا القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد ومعظم أسفار الأنبياء، وأن قسما آخر منها قد أُلّف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد، ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال.

وهذا فيما عدا الأجزاء والفقرات التي أُلّفت من أول الأمر باللغة الآرامية والتي سيأتى الكلام عليها وعلى تاريخ تأليفها في الفقرة التالية.

اللغات التى ألفت بها أسفار العهد القديم

دونت أسفار العهد القديم بلغة واحدة، وهى اللغة العبرية؛ وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار وتتم على العصور التى ألفت فيها كل سفر منها. ولا يستثنى من ذلك إلا أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية، وهى اللغة التى صرعت العبرية وحلت محلها، وقد تم تغلبها على العبرية فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. ويدخل فى هذا القسم بعض أجزاء من سفرى عزرا Esdras ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء Jérémie وكلمتان اثنتان فى سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصص. ويرجح الباحثون أن ما ألفت باللغة الآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد، وأن ما ألفت بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ ق م

اللغات التي ترجمت إليها أسفار العهد القديم والزيادات التي ظهرت في بعض هذه الترجمات

أقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم «الترجمة السبعينية» Version de Septante وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢ و ٢٨٣ قبل الميلاد على يد اثنين وسبعين فقيها من يهود مصر بأمر ملك مصر حينئذ بطليموس فيلادلف، وحدد عددهم على أساس ستة فقهاء من كل سبط من أسباط اليهود الاثني عشر.

وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفرا لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا. وهذه الأسفار هي: سفر طوبيا^(١)؛ وسفر الحكمة لسليمان^(٢) Sageesse de Salomon؛ وأسفار المكابيين وعددها أربعة أسفار^(٣) 4 livres des Maccabées؛ وسفر يهوديث^(٤) Judith؛

(١) هو وصف لسيرة يهودي اسمه طوبيا وسيرة ابنه. وكانا أسيرين في نينوى في القرن السابع ق.م.

(٢) يشتمل على أمثلة حكيمة وعظات بليغة لسليمان، وقد كتب لمقاومة الوثنية (٣) المكابيون هم الذين حكموا فلسطين حكما وطنيا في عهد الرومان في القرن الثاني ق.م. وقد جاء اسمهم هذا من الشعار الذي كانوا يتخذونه ويكبرون به في الحروب. وهو «مى كاموخا بيجيم هوقا؟» أى من مثلك بين الأمم يا إلهنا؟ أو ليس كمثلك شئ يا رب، أو كما نقول نحن «الله أكبر». فأخذ من كل كلمة الحرف الأول منها (مكابى) وجعل مجموع هذه الحروف «مكابى» اسما أو وصفا لكل منهم ومن ثم اشتهروا باسم «المكابيين».

(٤) يهوديث هي أرملة يهودية جميلة غنية تقية. ويتضمن هذا السفر انتصار اليهود على قائد الحشد الآشوري بمساعدتها.

وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ليسوع بن سيراخ بن سيراخ بن يسوع^(٥)
L'Ecclésiastique' ou Sagesse de Jesus fils de Sirach وتسيحة الفتية
الثلاثة^(٦) Cantique des Trois Enfants ؛ وسفر سوزان^(٧) Suzane ؛
وسفر بل والتنين^(٨) Bel et le Dragon ؛ وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة
على السفر المثبت في الأصل العبري ؛ وفصول في آخر سفر استيرزائدة على
الفصول المثبتة في الأصل العبري ؛ وبعض زيادات في سفر دانيال .

وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية
La Vulgate Latine . ومع أن هذه الترجمة اللاتينية كانت ترجمة
للسبعينية اليونانية ، فإنها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة ، فقد اشتملت على
سفرين اثنين فقط للمكابين (أسفار المكابين في السبعينية أربعة أسفار) ،
وحذف منها أسفار عزرا الثلاثة التي زادت في السبعينية على الأصل
العبري ، وزادت عليها بسفر «باروخ»^(٩) . وفيما عدا ذلك لا يوجد بين
الترجمتين خلاف ذو بال .

(٥) سفر الكهنوت هو مجموعة أمثال على غرار أمثال سليمان .

(٦) هي الكلمات التي يقال إنه قد سبى بها أصدقاء دانيال الثلاثة وهم في أتون النار .

(٧) سفر سوزان أو قصة سوسة العفيفة ، يشتمل على تمجيد النبي دانيال لقاض دحض وشاية
ضد سوسة العفيفة .

(٨) سفر «بل والتنين» عبارة عن قصة ألحقت بسفر دانيال ، وتبين كيف اقتنع الملك كورش
ببطلان عبادة الأصنام .

(٩) باروخ (ruk) Baruch هو تلميذ أرميا . وقد أملى عليه أرميا تنبؤاته
ويمكن أن يعد سفره هذا من أسفار الأنبياء ويلحق بسفر أرميا ومرأى أرميا . ويرجع تاريخ باروخ
إلى القرن السادس قبل الميلاد . ويتضمن سفر باروخ صلوات وأدعية دينية لليهود .

وفضلاً عن الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمتان اليونانية واللاتينية عن الأصل العبري، فإنهما في بعض المواضع لا تنطبقان على هذا الأصل تمام الانطباق. ولم يعرف إلى الآن على وجه اليقين الأسباب التي أدت إلى هذه الزيادات وهذا الاختلاف.

وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري واعتبرتها كلها أسفاراً وأجزاء مقدسة واعتبرتها من أسفار العهد القديم وأجزائه. ولكن معظم البروتستانت من المسيحيين لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة ولا يعتبرونها من العهد القديم. وأما اليهود أنفسهم فإنهم يدخلون في القسم الذي يسمونه «الأسفار الخفية» Apocryphe، والذي سيأتي انكلام عليه في الفقرة التالية، جميع ما تزيد به الترجمتان عن الأصل العبري من أسفار وأجزاء. و«الأسفار الخفية» عندهم لا يدخل شيء منها في العهد القديم، ولكن بعضها يمكن أن يكون مقدساً في نظرهم^(١٠).

وفضلاً عن الترجمتين اليونانية واللاتينية فإن العهد القديم قد ترجم إلى لغات أخرى كثيرة.

(١٠) من فرق اليهود المنقرضة فرقة كانت تسمى فرقة السامرية. وهذه الفرقة كانت لا تؤمن إلا بسبعة أسفار من العهد القديم، وهي أسفار موسى الخمسة وسفر يشوع وسفر القضاة، وتنكر ما عدا ذلك، كما سيأتي بيان ذلك بالتفصيل في الباب الثالث من هذا القسم عند الكلام على فرق اليهود.

فقد ترجمه أبحار اليهود من مدرسة بيت المقدس من العبرية إلى «للهجة الآرامية الحديثة» وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة في منطقة فلسطين وما إليها. وساروا في ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة. فكانوا يدنون الفقرة بنصها العبري ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية. وقد أطلق على كتبهم هذه اسم «الترجوم». ومن أشهرها ترجوم أنقلوس Onclos وهو ترجمة لأسفار التوراة وحدها (الأسفار الخمسة أو أسفار موسى التي يتألف منها القسم الأول من العهد القديم وتتضمن التوراة في نظرهم)، وترجوم يوناثان وهو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم. وقد ألفت ترجماتهم هذه في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثاني وأواخر الخامس بعد الميلاد، وتم معظمها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

وفي هذه الفترة نفسها (بين أوائل الثاني وأواخر الخامس بعد الميلاد) ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهدين القديم والجديد إلى اللغة السريانية، وهي إحدى شعب اللغة الآرامية، ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل أبحار اليهود من مدرسة بيت المقدس وإنما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية. والترجمة السريانية لا تكاد تبين عن روح اللغة العبرية التي ألفت بها هذه الأسفار.

وترجم المسيحيون بفلسطين العهدين القديم والجديد إلى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة، وهي إحدى اللهجات الآرامية التي كانت مستخدمة في فلسطين وما إليها، وذلك بعد أن استقلوا في ثقافتهم وشئونهم الدينية عن الكنيسة السريانية. وقد تم لهم هذا الاستقلال في أواخر القرن الخامس

الميلادى. ولم يترجموه عن العبرية مباشرة كما فعل مواطنوهم اليهود من مدرسة بيت المقدس، وإنما ترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانية كما فعل السريان. وجاءت ترجمتهم هذه حرفية كالترجمة السريانية، بل تزيد فى حرفيتها عن الترجمة السريانية، وتقل عنها فى مبلغ إبانيتها عن روح اللغة العبرية وأساليبها. وقد استغرقت ترجمتهم للعهدين القديم والجديد مدة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادى عشر بعد الميلاد.

وعن الترجمتين اليونانية واللاتنية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها^(١١).

(١١) من أحدث هذه الترجمات ترجمة من العبرية القديمة إلى الإنجليزية الحديثة قام بها جماعة من العلماء أغلبهم من اليهود المنتسبين إلى هيئات دينية متمركزة فى إنجلترا. وشارك فى طبع هذه الترجمة مطابع أكبر جامعتين فى إنجلترا هما أكسفورد وكمبرج. وقد طبع منها ملايين النسخ وجرى توزيعها فى معظم بلاد العالم. واشتملت على العهدين القديم والجديد بالإضافة إلى اشتغالها على الأسفار الخفية التى ستحدث عنها فى الفقرة التالية.

وتمتاز هذه الترجمة بالتححر من قيود الترجمات السابقة التقليدية وبتصرفها فى معنى بعض العبارات ومغزاها، وبما تضيفه إلى بعض النصوص لتوضيحها. (انظر فى هذه الترجمة مقالا للاستاذ شوقى عبد الحكيم فى عدد ٥ سبتمبر من جريدة «أخبار اليوم»).

الأسفار الخفية عند اليهود وصلتها بأسفار العهد القديم

وبجانب الأسفار التى يتألف منها العهد القديم فى نظر اليهود، توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود فى أسفار هذا العهد. ويطلقون عليها اسم «الأسفار الخفية» "apocryphe du grec "apokruphos" de "apokruptien" cacher

ومن الأسفار الخفية عند اليهود الأسفار التى تزيد بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبرى والتى تقدمت الإشارة إليها فى الفقرة السابقة.

وبعض الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد فى نظر اليهود، بينما بعضها الآخر مقدس أى معترف بأنه موحى به ومعتمد فى نظرهم، ولكن رأى أحبارهم وجوب إخفائه، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج فى أسفار العهد القديم. وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول فى صدد اليهود: «وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا^(١٢)»، وإذ يقول: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب»^(١٣)، وإذ

(١٢) آية ٩١ من سورة الأنعام.

(١٣) آية ١٥ من سورة المائدة.

يقول: «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» ، (١٤) وإذا يقول «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم» (١٥) .

ومن هذا يظهر أن السفر قد يكون خفياً ومقدساً في آن واحد عند اليهود. وفي هذا يختلف الاصطلاح اليهودى بعض الاختلاف في مدلول كلمة «الخطي» apocryphe على الاصطلاح المسيحى. فالمسيحيون يطلقون كلمة «الخطي» على سفر يرون انه غير مقدس أى غير موحى به ، سواء أكان في نظرهم صحيحاً في حقائقه وفي نسبته إلى مؤلفه ، أم كان في نظرهم غير صحيح في حقائقه أو في نسبته إلى مؤلفه أو في كليهما ، كإنجيل برنابا وكتاب «أعمال الرسل» لبرنابا ؛ فإن المسيحيين لا يعترفون بصحة ما جاء فيها ولا بصحة نسبتهما إلى برنابا.

(١٤) آية ١٥٩ من سورة البقرة.

(١٥) آية ١٧٤ من سورة البقرة.

الفصل الثانى

التلمود

- ١ -

أسفار التلمود وتاريخ تأليفها

تألف من بحوث أحبار اليهود وربانيهم وفقهائهم المتمين إلى فرقة الفريسيين (أشهر فرق اليهود كما سيأتى الكلام على ذلك فى الباب الثالث من هذا القسم)، فى شئون العقيدة والشرعة والتاريخ المقدس وما إلى ذلك ثلاثة وستون سفرا ألفت فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد وأطلق عليها اسم «المشناه» بمعنى المثنى أو المكرر أى أنها تكرر وتسجيل للشرعة

Michna répétition des lois, ou seconde loi

ثم شرحت هذه «المشناه» فيما بعد، وأطلق على هذه الشروح اسم «الجارا» أى الشرح أو التعليق Gémara commentaires. وألفت هذه

الشروح فى فترة طويلة امتدت من القرن الثانى إلى أواخر السادس بعد

الميلاد. وتألف من المتن والشرح (أى من المشناه والجوارا) ما أطلق عليه اسم «التلمود» بمعنى التعاليم Talmud enseignement. هذا ولا تقل أهمية التلمود لدى معظمهم عن أهمية العهد القديم نفسه، بل إن أهميته لتزيد لدى بعض فرقهم عن أهمية العهد القديم.

اللغات التي ألفت بها أسفار التلمود والتي ترجمت إليها

ألفت أسفار «المشناه» باللغة العبرية وألفت شروحها المسماة «الجارا» باللغة الآرامية. فكان يدون المتن بلغته العبرية، ثم يشرح بالآرامية.

وتسمى اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار «المشناه» باللغة «الربانية» لأن فقهاء اليهود الذين يطلق عليهم اسم «الربانيين» هم الذين استخدموها في تأليف هذه الأسفار. وهي تختلف اختلافا غير يسير عن اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار العهد القديم.

وذلك أن تأليف أسفار المشناه قد حدث بعد أن انقرضت العبرية من لغة التخاطب لدى بني إسرائيل وحلت محلها في ألسنتهم اللغة الآرامية واقتصر استخدام العبرية لديهم على ميادين الكتابة، وخاصة في شئون الدين. ومن ثم تمتاز اللغة التي ألفت بها المشناه بشدة تأثرها باللغة الآرامية، كما يبدو فيها كثير من مظاهر التأثير ببعض اللغات الآرية الهندية - الأوروبية التي احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية.

ولكن هذا لا ينقص شيئا من قيمتها اللغوية والتاريخية. وذلك لأن ما بها من مفردات أجنبية لا يعد شيئا مذكورا بجانب ما استخدمته من المفردات العبرية التي لا يوجد بعضها في العهد القديم نفسه.

وأما شروح المشناه المسماه «الجمارا»، وهى التى ألفت باللغة الآرامية، فقد قامت بها مدرستان:

(إحدهما) مدرسة يهود فلسطين، وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية- الفلسطينية الحديثة، وهى اللهجة نفسها التى استخدمها هؤلاء فى ترجمة العهد القديم، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. واستغرق لديهم تأليف هذه الشروح فترة طويلة تمتد من القرن الثانى إلى أواخر الخامس بعد الميلاد، وإن كان معظمها قد تم فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه (أى مع أسفار المشناه) ما يعرف «بتلمود بيت المقدس».

(والأخرى) مدرسة يهود بابل. وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية (وهى إحدى لهجات اللغة الآرامية). وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ولم يفرغوا منها إلا فى القرن السادس الميلادى. وتألف من شروحهم هذه مع المتن نفسه ما يعرف «بتلمود بابل»:

وعن اللغتين العبرية والآرامية ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم قديمها وحديثها.

الباب الثانى
العقيدة والشرعة والقصص
فى أسفار اليهود

الفصل الأول

العقيدة في أسفار اليهود

- ١ -

الذات العلية وصفاتها في نظر اليهود وفي أسفارهم

كانت الديانة اليهودية في أصلها، كما ينبثق بذلك القرآن الكريم، ديانة وحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال، والمخالفة للحوادث في كل شيء، والتجرد من مظاهر النقص، كما هو الشأن في الدين الإسلامي.

ولكن يظهر من استقراء تاريخ اليهود، وما ورد بشأنهم في القرآن الكريم، وما ورد في أسفارهم نفسها، أن فهمهم للذات العلية لم يكن في أى عصر من عصورهم مطابقا كل المطابقة لهذا الوضع، وأن فكرة الألوهية لديهم قد اجتازت المراحل الثلاث الآتية:

١- فالقرآن الكريم يحدثنا أن بنى إسرائيل لم تقو عقولهم في مبدأ الأمر على فهم الذات العلية الفهم الصحيح، وظنوا أنه من الممكن رؤيتها، بل علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى وفي هذا يقول القرآن

الكريم: «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»^(١)

وينبئنا كذلك القرآن الكريم أنهم لم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته، وطلبوا إلى موسى، حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم، أن يجعل لهم إلهًا يحسنونه كما يحسن هؤلاء آلهتهم، وفي هذا يقول القرآن الكريم: «وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغيكم إلهًا. وهو فضلكم على العالمين»^(٢)

وينبئنا كذلك القرآن الكريم. وتنبئنا أسفارهم نفسها. أنهم في أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة إلههم أكثر من مرة. فعبدوا العجل تارة والأصنام تارة أخرى. ومن الغريب أن سفر الخروج (وهو من أقدم أسفار توراتهم المزعومة) قد نسب إلى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسرلبنى إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام. فصنع لهم بيده عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله^(٣) كما سيأتى بيانه بتفصيل في الفصل الثالث من هذا الباب.

ويظهر من التأمل في أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة: وهما سفر التكوين وسفر الخروج، أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة في عقولهم

(١) آيتى ٥٥، ٥٦ من سورة البقرة.

(٢) آيات ١٣٨ - ١٤٠ من سورة الأعراف.

(٣) اصحاح ٣٢ من سفر الخروج.

إلى نهاية المرحلة التي تم فيها تدوين هذين السفرين ، أى إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد (بعد موسى بنحو خمسة قرون) . فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل . وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين .

فن ذلك ما يرويه سفر التكوين فى قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة ، إذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من شجرة المعرفة ، وخوقهما مضللا بهما ومخفيا عنها حقيقة هذه الشجرة ، فذكر لها أن الأكل منها يفضى إلى الموت ، مع أن الأكل منها يفضى إلى رقى التفكير واتحسار أغطية الجهل واتباق نور المعرفة ولكن الإله كان يريد إبقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه فى صفة من أخص صفاته . ولما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها ، أدركا ما كانا يجهلانه من قبل فعرفا أنها مكشوفتا السوءتين وأنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة . ولما قدم الإله نحوهما محترقا طرق الجنة ، وسمعا صوته وحركته فى أثناء سيره ، اختبا حتى لا يراهما عريانين ، وأخذوا يحصفا على عورتيهما من ورق الجنة . فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما ، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لا بد أن يكونا قد أكلتا من شجرة المعرفة وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأن الإنسان قد أصبح بذلك « أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقيبح » ، وأنه قد أصبح لزاما أن يطرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتدده إلى شجرة أخرى هى « شجرة الخلد » فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء^(٤) .

وقد عرض القرآن الكريم فى أكثر من سورة لعدة مواقف من قصة آدم وحواء

(٤) الاصحاح الثالث من سفر التكوين .

وأكلها من الشجرة وخروجها من الجنة ، بدون أن يبدو في أى موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث .

ومن ذلك أيضاً ما يذكره سفر التكوين من أن الله تعالى أولادا من الذكور ، وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللاتي كان عددهن قد كثر في الأرض ، فاتخذوهن خليلات ، وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة في الجسم ، وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان^(٥) .

ومن ذلك أيضاً ما يرويه سفر التكوين في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي « سدوم » و « عمورة » إذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يصترحوا عنده قليلا من عشاء سفرهم ، وقدم إليهم ماء لشرهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه إليهم ، وإبراهيم جالس على مقربة منهم . ثم تفقد الإلاه زوجه سارة ، وسأله عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بها في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا . ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن ينثيه عن ذلك ، لأن بعض أهلها أتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء^(٦) .

وقد ذكر القرآن هذه القصة على حقيقتها ، فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين ، فظنهم بشرا ، فقدم إليهم طعاما ، فلم تصل أيديهم إليه ، لأن الملائكة لا يأكلون . وفي هذا يقول القرآن الكريم : « ولقد جاءت

(٥) الاصحاح السادس من سفر التكوين فقرات ١-٥ .

(٦) الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين .

رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تحف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . . . (٧) » .

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر التكوين من أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع ، وكان يوم سبت ، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك ، فحرم فيه العمل^(٨) ؛ أى أنه كالبشر ، في حاجة إلى الراحة بعد بذل المجهود في عمل ما .

وعلى زعمهم هذا يرد الله تعالى في القرآن الكريم إذ يقول : « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب^(٩) » ، أى لم يمسنّا تعب حتى نحتاج إلى الراحة .

ومن ذلك أيضاً ما يذكره سفر التكوين عن يعقوب وأنه لقي الله ذات ليلة وأخذ يصارعه حتى برغ الفجر ، بدون أن يستطيع الله سيلا إلى التغلب على يعقوب . وحينئذ ضرب حُقَّ يعقوب فانخلع . ولما بلغ الوهن من الله مبلغه طلب إلى يعقوب أن يخلى سبيله لأنه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ، ولكن يعقوب لم يقبل أن يطلقه إلا إذا باركه . فقبل الله تعالى شرطه وباركه ، وسأله عن اسمه ، فقال يعقوب ، فقال الله لن تسمى بعد الآن يعقوب ، بل تسمى « إسرائيل » ذلك كنت قويا على الله^(١٠) (زهذا هو أحد معاني كلمة إسرائيل في العبرية) .

(٧) آيات ٦٩ - ٧٦ من سورة هود .

(٨) الفقرات الأولى من الاصحاح الثاني من سفر التكوين .

(٩) آية ٣٨ من سورة ق .

(١٠) فقرات ٢٤ - ٣٢ من اصحاح ٣٢ من سفر التكوين .

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر الخروج من أن الإلهم يفيد من الضحايا التي تقدم إليه ويتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها^(١١) بل إن بعض فقرات من هذا السفر لتدل على أن إلههم كان يطلب إليهم أن يقدموا أولادهم ضحايا محرقة لإرضائه والتقرب إليه . فقد ورد في هذا السفر أن فرعون لم يسمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر . فأنزل الله نقمته على المصريين . فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من الحيوان في سائر بلاد مصر ، ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بني إسرائيل ، وأذنوا لهم بالخروج من مصر . وكان هذا الخروج أكبر حدث في تاريخهم ، وإليه يرجع الفضل في تحررهم من الاستعباد وفيما أصابوه من عز وسلطان فيما بعد . ولكي يظل بنو إسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم في هذا الحدث ، فرض عليهم أن يخصصوا للرب أول ما تلده كل أنثى من الإنسان والحيوان ، أى أن يقدموه ضحية له . ولكن خفف عنهم فيما يتعلق بأول مولود من الآدميين ، فشرع لهم فداء بذبح من الضأن . وشرع لهم كذلك هذا الفداء فيما يتعلق بالحيوانات غير مأكولة اللحم^(١٢) .

ويستدل من أقدم أسفارهم كذلك على أنهم كانوا يعتقدون تعدد الآلهة . فكانوا يرون أن ثم إلها خاصا بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى .

٢ - ثم أخذ تصوره للذات العلية يرقى شيئاً فشيئاً ، ويتخلص نوعاً ما من شوائب النقص والتجسيم ، كما يبدو ذلك في أحدث أسفار توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين .

(١١) انظر مثلاً فقرات ٣٨ ٤٣ من الاصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج ، وخاصة فقرة ٤١ .

(١٢) فقرات ٢ ، ١١ ، ١٥ من اصحاح ١٣ من سفر الخروج .

غير أنه قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم إلهاً خاصاً بهم ، وهو إله إسرائيل ، وأنهم هم أولاده وأحباؤه ، وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى ، وأن إلههم في صراع مع هذه الآلهة . ولم يتخلص إلههم هذا كل التخلص من صفات الحوادث ، بل ظل عالقاً به في نظرهم بعض هذه الصفات . فمن ذلك أن أحدث أسفار توارثهم المزعومة ، وهو سفر اللاويين يذكر في أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة (وهي التي تحرق أجزاءها في المذبح تحت إشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الإله ويفيد منها ، ويتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها . وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين أو غير المراعين لمواسم التقديم فيرسل عليهم ناراً تحرقهم ، كما فعل مع ولدين من أبناء هرون لم يحسنا تقديم الأضحية (١٣) . ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هي الطريق المقررة لديهم في معظم أنواع الأضحية والقرابين ، حتى في قرابين البنات وما يصنع منه كالفطائر وما إليها (١٤) .

ويرد الله تعالى في القرآن الكريم على مزاعمهم هذه ، فيقرر أن الله لا يناله شيء من لحوم الأضاحي ولا من دماها ، وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهراً من مظاهر تقوى الله وامتنال أوامره وشكره على نعمائه التي أسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين . وفي

(١٣) انظر اصحاحات سفر اللاويين ، وقد ورد حادث ابني هرون في الاصحاح العاشر من هذا السفر.

(١٤) انظر سفر اللاويين ، وبخاصة الاصحاحات الأول والثاني والسادس والسابع والعاشر . وقد خصصت معظم اصحاحات هذا السفر لبيان وظائف اللاويين ، وهم كهنة بني إسرائيل وفقهاؤهم . وكانوا يتألفون من نسل لاوى أوليى أحد أبناء يعقوب ، وقد تخصص منهم بذلك نسل هارون عليه السلام ، وكان أهم وظائفهم الاشراف على المذابح وتقديم الضحايا والقرابين .

هذا يقول الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين »^(١٥) . ويقول فيما يقدم في الحج من الهدى ، : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »^(١٦) .

٣ - ويظهر أنه بعد أن قربت عقيدتهم من التوحيد وتنزیه الإله من النقص ، ارتكست مرة أخرى ارتكاساً كبيراً في العهد الذي ألف فيه التلمود (القرون الستة الأولى بعد الميلاد) .

فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص ، ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضائه ، وما يرويه عن نشاطه وأعماله في الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل ، وما يقرره بصدد تخصيص أيام من كل عام لعبادة إله آخر صغير ، وبصدد حرص الإله على أن تقدم له أضحية من الآدميين .

فقد ذكر العلامة ابن حزم في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » أن سفراً من أسفار التلمود يسمى « سفر توما » قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال إنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع ، وأنه قد جاء في سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له « سادرنا شيم » أن في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قطار من ذهب وفي إصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه « صندلفون »^(١٧) .

(١٥) آية ٣٧ من سورة الحج.

(١٦) آية ٢٨ من سورة الحج.

(١٧) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، صفحتي ١٦٣ ، ١٦٤ من الجزء الأول.

وورد في بعض أسفار التلمود أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار في
 مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية في شئون الحكم بين الناس ،
 والساعات الثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة
 فيقضيتها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جداً يتسع حلقه
 لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ بدون أن تضايقه . وقد رأى الله أن يحرمه من أنثاه حتى لا
 يتناسلا فيملأ الدنيا وحوشاً تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل . ولهذا حبس
 الذكر بقوته الإلهية وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين في الفردوس . وأما
 ساعات الليل فيقضيتها الإلهة في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين
 الذى يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة
 العلمية . وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل . فقد
 اعترف الإله بخطئه في هذا الصدد وندم على ما فعله ، وخصص ثلاثة أرباع الليل
 للبكاء والندم ، وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من
 في الآفاق ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض ، فتتجم عن ذلك الزلازل . ويزعم
 التلمود أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه مما فعل فيقول : تبا
 لى أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل وتشريد أولادى . ويقول حينما يسمع الناس
 يمجّدونه : طوبى لمن يمجّده الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذى يمجّده
 أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قد قضى عليهم بالتشريد والشقاء . وذكر
 العلامة ابن حزم في كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أنه قد جاء في بعض
 أسفار التلمود « أن رجلاً اسمه إسماعيل كان أثر خراب بيت المقدس سمع الله تعالى يئن
 أنين الحامئة ويبكى وهو يقول : الويل لمن أحرب بيته وضعضع ركنه ، وهدم قصره
 وموضع سكنته ، ويلي على ما أخربت من بيتى . ويلي على ما فرقت من بنى وبناتى .
 قامنى منكسة حتى أبنى بيتى وأرد إلى بنى وبناتى . فلما شعر الله بوجود إسماعيل بجواره

أخذ بشيايه وقال له : أسمعنى يا إبنى يا إسماعيل ؟ قال لا يارب . فقال له الرب : يا ابنى يا إسماعيل بارك علىّ . فبارك عليه ومضى » (١٨) .

ويقرر التلمود كذلك أن الله قد تستولى عليه نزوة غضب ، فيقسم لياتين أعمالا شريرة أو غير عادلة ، ثم يثوب إلى رشده فيتخلل من يمينه ، كما حدث يوم أن غضب على بنى إسرائيل فى الصحراء وأقسم أن يبيدهم ثم رجع عن عزمه وتخلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه .

ويستدل من أسفار تلمودهم كذلك أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيها رباً آخر غير إلههم ، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير ، . وهذا الرب الصغير هو صندلفون الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم (١٩) .

وفى هذه المرحلة اعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله ، واتخذت بعض فرقهم أحبارهم أربابا من دون الله ، كما يخبر بذلك القرآن الكريم عنهم وعن النصارى ، إذ يقول : « وقالت اليهود عزيز ابن الله » (وهو عزرا Esdras (٢٠)) « وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم » (أى واتخذ

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٤ ، من الجزء الأول . عبارة ابن حزم : « قال هذا الكلب والحيفة المنقنة ، فباركت عليه ومضيت » .

(١٩) المرجع السابق ص ١٦٥ من الجزء الأول .

(٢٠) يذكر ابن حزم فى المرجع السابق أن الصدوقية « وهم ينسبون إلى رجل يقال له صدوق قد انفردوا من بين فرق اليهود باعتقادهم أن العزيز ابن الله ، تعالى الله عن ذلك ، وكانوا يجهة اليمن » .

النصارى المسيح بن مريم إلهها كذلك» وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا، لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون» (٢١).

وفى هذه المرحلة كذلك زادت عقائدهم انحرافًا ووحشية فيما يتعلق بشئون الأضحية والقربانين. فأسفار تلمودهم تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى إسرائيل وتقديمهم قربانًا لإلههم، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح وعيد إستير ومراسم ختان الأطفال، واستخدام هذه الدماء فى طقوس سحرهم وشعوذتهم. وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودى إلى ربه وما تقر به عين إلههم.

أما عيد الفصح (فصح أى الفسح أو الخروج أو المرور) فيقيمه اليهود فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم الدينية وهو شهر نيسان (ويقع ذلك فى شهر أبريل) ويحتفلون فيه بنجاة موسى وبنى إسرائيل من فرعون وقومه وخروجهم من مصر (٢٢).

وأما عيد إستير أو البوريم فيقع فى شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة. ويحتفل فيه اليهود بذكرى نجاتهم من مذبحه تذكر أسفار العهد القديم أنها كانت تهددهم وأنهم قد نجوا منها بفضل امرأة إسرائيلية تسمى إستير. فتروى هذه الأسفار أن إستير كانت زوجة لأحد ملوك الفرس. وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان. وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من

(٢١) آتى ٣٠ ، ٣١ من سورة التوبة .

(٢٢) انظر فقرات ٥ - ٩ من إصحاح ٢٣ من سفر اللاويين .

الملك بقتل اليهود. فأحبطت إستير كيده ودبرت مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره ومكنت اليهود من ذبح عشرات الألوف من بنى قومه كان منهم كثير من الأطفال والنساء. وقد خصص لهذه القصة سفر من أسفار العهد القديم سمي باسم هذه المرأة (٢٣).

وأما مراسم ختان الأطفال فهي مراسم معقدة يقيمها اليهود بمناسبة ختان أبنائهم، والختان من أهم شعائر دينهم، بل إنهم ليعتبرونه أكبر مميز بين اليهودى وغير اليهودى (٢٤).

وأما طقوس السحر والشعوذة لدى اليهود، فقد أفرد لها التلمود أبو ابا كثيرة، بل لقد اعترفت أسفار العهد القديم نفسها بمزاولة اليهود لها (٢٥).

وتختار الذبائح فى عيد الفصح من الأطفال الذين لا تتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد عنها قليلا. ويمزج دم الضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه. وتختار ذبائح عيد البوريم أو إستير من الشباب البالغين أو من الكبار. ويؤخذ دم الضحية ويحفف على صورة حبوب تمزج بعجين الفطائر. وأما ضحايا أفراس الختان فيظهر أنها كانت تختار فى الغالب من الأطفال. وكذلك ضحايا السحر والشعوذة، بدليل ماورد فى صدها فى سفر أشعيا إذ يقول فى إصحاحه السابع والخمسين مخاطبا بنى إسرائيل: «أقبلوا يا بنى الساحرة... أستم أتم الذين يذبحون الأطفال فى الوديان وتحت شقوق الصخور؟» أى لإتمام عمليات السحر التى ورثتموها عن آبائكم وأمهاتكم».

(٢٣) انظر الفصل الأول من الباب الثالث (ص ١٢).

(٢٤) انظر مثلا الإصحاح الخامس من سفر التثنية ..

(٢٥) انظر مثلا إصحاح ٥٧ من سفر أشعيا.

ويستترف اليهود دم ضحاياهم هذه بطرائق كثيرة: فأحيانا يتم ذلك عن طريق ما يسمى « البرميل الابرى » وهو برميل مثبت على جوانبه من الداخل إبر حادة توضع فيه الضحية حية فتتغرز هذه الإبر في جسمها، وتسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها، وتظل كذلك في عذاب اليم حتى تفيض روحها، بينما يكون اليهود الملتفون حول هذا البرميل في أكبر نشوة بما يبعثه هذا المنظر في نفوسهم من لذة وسرور. وينحدر الدم إلى قاع البرميل، ثم يصب في إناء معد لجمعه. وأحيانا تقطع شرايين الضحية في عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها. وأحيانا تذبح الضحية كما تذبح الشاة ويؤخذ دمه.

وبعد أن يتجمع الدم بطريقة من الطرق السابقة أو غيرها تسلم إلى الخاخام أو الكاهن أو الساحر الذى يقوم باستخدامها في إعداد الفطائر المقدسة أو في عمليات السحر.

وتدل شواهد كثيرة على أنهم لم ينفكوا منذ عهد بعيد، ولا ينفكون في الوقت الحاضر، يزاولون هذه الجرائم في كثير من بلاد العالم باسم دينهم ووصايا تلمودهم.

وقد عنى الأستاذ أرلوند ليز بجمع أهم ما ثبت اقتراف اليهود له من هذه الجرائم في مختلف بلاد أوروبا وآسيا منذ منتصف القرن الثانى عشر إلى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، ودونها في كتاب نشره سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « طقوس الإغتال اليهودية » Arnold Leese: Jewish Ritual Murder فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجريمة في كثير منها بأدلة قاطعة

وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء، وحكم في بعضها على المجرمين بالإعدام ونفذ فيهم الحكم.

وقد نقل صديقنا المرحوم الأستاذ عبد الله التل في كتابه القيم «خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية» عن الأستاذ ليز هذه الحوادث بتفاصيلها وعلق عليها بأن هذه الجرائم التي عرفت في التاريخ ووصلت إلى المحاكم وجرى فيها تحقيق ليست شيئاً مذكوراً إذا قيست بالجرائم التي ارتكبتها اليهود من هذا القبيل ولم يصل علمها إلى أحد ولم تصل إلى المحاكم» وأن آلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون في معظم أنحاء العالم هم في الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية، ولا بد أن تكون دماؤهم قد استقرت في بطون اليهود مع الفطائر القدرة التي يتناولونها في أعيادهم».

ومن أشنع هذه الحوادث حادثة دمشق سنة ١٨٤٠ التي راح ضحيتها الأب توما وخادمه إبراهيم عمار. وقد قص قصتها صديقنا المرحوم الأستاذ عبد الله التل في كتابه السابق ذكره إذ يقول: «الأب فرنسوا أنطون توما قسيس إيطالي انتقل إلى دمشق للخدمة في أديرتها. وعمل طوال ثلاثة وثلاثين سنة بإخلاص وغيره وحنان خادماً لجميع الطوائف، لا يفرق بين دين ودين، يعالج المرضى مجاناً، ويطعم الناس ضد الأوبئة. وعرف في دمشق مثلاً للنبيل والخالق الكريم. وفي يوم الأربعاء ٢ من ذى الحجة ١٢٥٥هـ الموافق ٥ من فبراير ١٨٤٠م طلب الأب توما لحارة اليهود لتطعيم طفل ضد الجدري. وفي عودته مر بصديقة اليهودي داود هراي. فاستدعاه إلى داره فلبى الدعوة. وكان في الدار شقيقان لداود هراي وعمه واثنان من حاخامات اليهود. ثم انقض هولاء جميعاً على الأب توما

وقيدوه من قدميه ويديه ووضعوا منديلا على فمه ، وبعد غروب الشمس استدعوا حلاقا يهوديا اسمه سليمان وأمروه بذبح القسيس فخاف وتردد . فما كان من داود هرارى صديق الأب توما إلا أن تناول السكين بنفسه ونحر الضحية . ثم جاء أخوه هارون هرارى وأتم عملية الذبح . وجمعوا الدم في وعاء ثم نقلوه إلى قارورة كبيرة وسلموه إلى حاخام باشا يعقوب العنتاني الذي تمت العملية بناء على أوامره ، نظراً لحاجته إلى الدم لاستعماله في فطائر عيد البوريم (إستير) الذي كان يقع في ذلك العام في الرابع عشر من فبراير . وقطعوا جثة الضحية إربا إربا ، ووضعوها في أكياس قذفوا بها في مصرف قريب من دارهم . ولم يكتفوا بالقسيس ، بل انتظروا مجيء خادمه إبراهيم عمار للبحث عنه ، فأدخلوه إلى منزل اليهودي يحيى ماهر فارحي وذبحوه وأخذوا دمه إلى الحاخام باشا .

« وفي أثناء التحقيق قدم جميع المتهمين في تلك المذبحة اعترافات كاملة مذهلة . وعثرت السلطات على جثتي القسيس وخادمه . »

« وقد نشرت التحقيقات والمحكمة في عدة كتب أوروبية . ومازالت محفوظة في سجلات وزارة العدل بدمشق . ونشرت بالتفصيل في كتاب للدكتور روهلنج (ترجمه إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله سنة ١٨٩٩ ميلادية تحت عنوان : « الكثر المرصود في قواعد التلمود ») .

بل لقد شهد شاهد من أهلهم ، ومؤرخ من أقدم مؤرخيه وأشهرهم ، وهو المؤرخ اليهودي يوسفوس (فلافيوس يوسفوس المولود سنة ٣٧ ميلادية والمتوفى سنة ٩٥) بأنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم ، بل كانوا يأكلون كذلك قطعاً من لحومهم .

فقد ذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان أنطونيوس الرابع الذى تبوأ العرش سنة ١٧٤ قبل الميلاد وفتح مدينة أورشليم ، حينما دخل هذه المدينة وجد فى بعض أنحاء الهيكل رجلا يونانيا كان اليهود قد حبسوه فى هذا المكان ، وكانوا يقدمون له أحسن الأطعمة ليسمن ويزكو لحمه ، حتى يأتى يوم يخرجون به إلى إحدى الغابات ، فيذبحونه ويشربون دمه ويأكلون شيئا من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينثرون رماده فى الصحراء ، وإن ذلك كان تطبيقاً لوصية دينية لا تسعهم مخالفتها ، وأنهم كانوا يكررون فعلتهم هذه كل عام مع واحد من اليونان ، وأن هذا السجين قد استرحم الملك أن ينقذه فأنفذه .

البعث والنشور واليوم الآخر عند اليهود

هذا، وقد كانت الديانة اليهودية فى أصلها تقرّر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب واللجنة والنار كما ينمى بذلك القرآن الكريم. ولكن أسفار العهد القديم التى بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه.

ومن ثم لا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذى يقرره الإسلام. ففرقة الصادوقيين^(٢٦) تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان فى حياتهم. وفرقة الفريسيين^(٢٧) تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون فى هذه الأرض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى فى آخر الزمن، لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا فى ديانة موسى، أى إن بعث هؤلاء سيحصل فى الحياة الدنيا. فهما يكن من خلاف بين الفرقتين فإنهما تتفقان فى إنكار اليوم الآخر على النحو الذى يقرره الإسلام.

وقد ورد فى بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار، ولكن فى صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة.

(٢٦) انظر تعليق ٢٠ بصفحة ٤٢ وصفحة ٩٢ وتوابعها.

(٢٧) انظر ص ٨٩.

فتذكر هذه الفقرات أن اللجنة تأوى إليها الأرواح الزكية وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة التى تقدم ذكرها^(٢٨)، كما يتناولون لحم طير كبير لذيد الطعم ولحم أوز سمين، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله فى اليوم الثانى من الأيام التى خلق فيها العالم، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ومن إليهم. - ويظهر أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب فى عقيدتها إلى ظاهر ما يقرره التلمود فى هذه الفقرات، فكانت تفسرها بمدلولها الحقيقى لا بمدلولها المجازى. ويظهر أن القرآن الكريم يشير إلى هذه الفرق ويرد عليها إذ يقول: « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » (أى وقالت بعض فرق اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً وقالت بعض فرق النصرانى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً) « تلك أمانيتهم ! قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »^(٢٩)

وفى هذه الأمور جميعها دليل آخر على أن أسفارهم هذه كلها من صنع أيديهم. وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التى أنزلها الله تعالى على موسى نورا وهدى للناس.

(٢٨) انظر ص ٤١ .

(٢٩) آية ١٥٩ من سورة البقرة .

استقامة العقيدة عند بعض فرق اليهود

هذا وينبئنا القرآن الكريم أنه كان من بينهم في كل عصر، حتى في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه، بعض أفراد عصمهم الله من زيغ العقيدة فأمنوا بما جاء في التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى، وأتيح لهم الاحتفاظ بجميع أسفارها أو ببعضها نقية طاهرة خالية من التحريف. وفي هذا يقول الله تعالى: « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله قليلاً، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب » (٣٠)، ويقول: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (٣١).

(٣٠) آية ١٩٩ من سورة آل عمران.

(٣١) آية ١٢١٠ من سورة البقرة.

الفصل الثانى

الشرعة فى أسفار اليهود

- ١ -

استيعاب الشرعة اليهودية لجميع شئون الحياة

تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيمًا كاملاً لشئون الدين والدنيا معاً. فلم تغادر أية ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه... وما إلى ذلك، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحي وغيرها إلا وضعت لها حدوداً وقواعد، وبينت ما ينبغى أن تكون عليه، وما يجب اتخاذه فى حالة الخروج عليها، حتى شئون الأكل والشرب والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيز والنفس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام فى الحرث.

غير أنه يلاحظ فى هذه الشرعة كثيراً من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل.

وسنعتقد فيما يلى لكل ناحية من هذه النواحي الثلاث فقرة على حدة.

مظاهر الانحراف في شريعة اليهود

أما مظاهر انحرافها فكثيرة تجل عن الحصر. ومن أهم هذه المظاهر أنها تقوم على التفرقة العنصرية. وذلك أنها تجعل اليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين، وتنتظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفي كثير من شؤون الاجتماع.

فن ذلك مثلا أن الإسرائيليين محرم عليهم في هذه الشريعة أن يقتل بعضهم بعضا وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم؛ على حين أنه مباح للإسرائيليين، بل واجب عليهم، غزو الشعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلدهما أن «يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف» فلا يبقوا على أحد منهم، ويسترقوا جميع نسائها وأطفالها ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع، أو ينيهوه حسب تعبير أسفارهم^(١).

ومن ذلك أن الإسرائيليين إذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزة وحاجته إلى المال فإن رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده إلى

(١) قفرى ١٣، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر الشنة.

الحرية؛ على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيل يظل قائما أبداً
الآبدین^(٢)

ومن ذلك أنه ما كان يجوز للإسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه
الإسرائيلي ولا أن يأخذ منه رهناً بدينه، وإذا أخذ منه في الصباح رهناً من
المتاع الذي لا يستغنى عنه في حياته اليومية، كالرحا التي يطحن عليها
قوته، وجب أن يرده إليه في المساء؛ أما غير الإسرائيلي فباح للإسرائيلي أن
يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش^(٣).

بل إن أسفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل أن
يكون رفيقاً لبني إسرائيل وأنه لا ينبغي أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة
ما في الحياة غير هذه الوظيفة، فإن تمردوا عليها أو طمحووا إلى الحرية وجب
على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف. وتقرر أسفارهم أن هذا
الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله. وذلك أن
نوحاً، حسب ما يزعمه سفر التكوين، قد شرب مرة نبذ العنب الذي
غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة، ففقد وعيه
وانكشفت سواته، فراه ابنه حام على هذا الصورة فسخر منه، وحمل
الخبر إلى أخويه سام ويافت. ولكن هذين كانا مؤدبين في جنب أبيهما
وبارين به، فحملاً رداءً وسارا به نحو أبيهما وهما مستظهران له حتى لا
يقع نظرهما على عورته، وسترا ما انكشف من جسمه فلما أفاق نوح وبلغه

(٢) فقرات ١٠، ٢٩، ٤٧ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين، وفقرة ١٢ من اصحاح ١٥
من التثنية، وفقرات ٢، ٧، ١١ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج.

(٣) فقرة ٣٥ من اصحاح ١٥ وفقرة ٢٠ من اصحاح ٢٣ من سفر التثنية.

ما كان من موقف أولاده حياله لعن كنعان بن حام ، ودعا على نسله أن^٥ يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث^(٤) .

وفى هذا المظهر برهان قاطع على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم ، وأنهم قد ألفوها كما يشاءون وتشاؤهم أهواؤهم ، وأنها بعيدة كل البعد عن الأسفار المقدسة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ؛ فإن شريعة من عند الله لا يمكن أن تفرق العنصرية بين أفراد الآدميين : «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ إن الله عليم خبير^(٥)» ؛ «لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، إلا بالتقوى^(٦)» ؛ «كلكم بنو آدم طف الصاع^(٧)» ، «إن ربكم واحد وإن أباكُم واحد كلكم لأدم وآدم من تراب^(٨)» .

ومن مظاهر الانحراف فى شريعتهم كذلك أنها تقرّ كثيرا من أنواع الفحشاء . فقد جاء فى تلمودهم أن الولد الإسرائيلى لا يعاقب إذا زنى بأمه الأرملة ، بل يجب عليه فى هذه الحالة أن يستمر على الزنا معها بعد زواجه صيانة للحالة التى كانت عليها قبل زواجه ، وأن ذلك يعد حقا لها عليه .

(٤) فقرات ٢٠ - ٢٩ من الاصحاح التاسع من سفر التكوين .

(٥) آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٦) حديث شريف من خطبته عليه السلام فى حجة الوداع .

(٧) أى إنكم متساون كما تتساوى الصيغان ممسوحة رءوسها .

(٨) حديث شريف من خطبته عليه السلام فى حجة الوداع .

وجاء فى تلمودهم كذلك أن الوالد الذى زنى ببنته بعد وفاة أمها لا يقام عليه الحد، بل لا يعاقب ولا يزجر، لأنه بذلك يحفظ أمواله أن يبذرهما مع العاهرات الأجنبية، ويدرب ابنته على شئون الزوجية^(٩).

(٩) انظر فى ذلك مقالا للأستاذ عمر فتحى زادة بعنوان «صفحات مؤلة من تاريخ البلقان» نشر فى عدد فبراير ١٩٦٥ من مجلة «الاعتصام» القاهرية.

التضارب وعدم الوحدة في شريعة اليهود

يظهر تضارب الشريعة اليهودية وعدم وحدتها في أن أحكام أسفارها يتعارض بعضها مع بعض في كثير من الشئون. فقد يقرر سفر في أمر ما حكما وبحي سفر آخر فيقرر في الأمر نفسه حكما آخر.

فمن ذلك أن سفرى الخروج والتثنية يقرران أن الإسرائيلى الذى يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته إلى المال لا يدوم رقة إلا ست سنين^(١٠) على حين أن سفر اللاويين يقرر أن رقة لا ينتهى إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلى (وهو العيد الذى يحىء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التى قضاها فى الرق قبل ذلك^(١١). فىمكن بحسب هذا السفر أن يدوم رقه خمسين سنة إلا يوما أو أياما إذا استرق عقب العيد الخمسينى مباشرة.

ومن ذلك أيضا أن توراتهم المزعومة تبيح للإسرائيلى ، رجلا كان أو امرأة ، أن يبيع نفسه لأخيه الإسرائيلى فى الحالة السابق ذكرها. وفى ذلك يقول سفر التثنية «إذا باعك نفسه أحد من إخوانك ، سواء أكان رجلا أم

(١٠) فقرة ٢ من اصحاح ٢١ من الخروج ، وفقرة ١٢ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية.

(١١) فقرة ٤٠ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين.

امرأة، فإنه يخدمك ست سنين...»^(١٢) ؛ على حين أن أسفار التلمود لا تجيز ذلك إلا للرجل وحده^(١٣).

وفي هذا المظهر دليل آخر على أن أسفارهم هذه من صنع أيديهم، وعلى أن كل سفر منها يعكس التقاليد والنظم التي كانوا يسيرون عليها في العصر الذي ألف فيه، وعلى مبلغ الخلاف بين توراتهم المزعومة والتوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى. فإن كتابا من عند الله لا تتضارب أحكامه بعضها مع بعض على هذا النحو: «أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» (آية ٨٢ من سورة النساء).

(١) فقرة ١٢ من إصحاح ١٥ من سفر التقية.

V. Mekhilta sur Exode XXI,7;; Naimonide I. cI,2;Zadok(1
Kahn: L'Esclavage dans la Bible et le Talmud

ظر مؤلفنا بالفرنسية

Ali Abdel Wahed: Contribution à une Theorie Sociologique
l Esclavage, Paris, 1931, PP 55-57

الاضطراب واختلاط المسائل فى شريعة اليهود

وبجانب المظهرين السابقين يلاحظ أن بعض شرائع العهد القديم يحمل فى طيه دليلا على اضطراب الحقائق فى أذهان محرريه واختلاطها بعضها ببعض ، ونسيانهم حظا كبيرا منها ، وغفلتهم عن أصولها .

فمن ذلك مثلا ما يذكر سفر التثنية فى صدد القسامه إذ يقول : « إذا وجد فى بلد من البلاد التى منحكم ربكم السيطرة عليها رجل قتيل ملقاة جثته فى وسط حقل ، ولم يمكن الاهتداء إلى معرفة قاتله ، فإن كبراءكم وقضاةكم يذهبون فيقيسون المسافات بين الجثة والبلاد القريبة منها ، وعندما يصلون إلى تعيين أقرب هذه البلاد مسافة إلى الجثة يستدعون كبراءها ويطلبون إليهم أن يحضروا عجلة (بقرة صغيرة) لم تستخدم بعد فى عمل ما ولم تحمل بعد سكة المحراث (أى بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث) ويذهبوا بها إلى جدول لا تجف مياهه وفى منطقة غير ذات زرع ولا بذور ملقاة فى الأرض ، وينحروها من قفاها (مؤخرة عنقها) فى هذا الجدول ... وحينئذ يتقدم المشرفون على الضحايا من اللاويين (قبيلة اللاويين هم أبناء لاوى أو لفي أحد أبناء يعقوب كما تقدمت الإشارة إلى ذلك) وهم الذين اختارهم الرب لخدمته ولنشر البركة والرحمة باسمه ، وهم وحدهم الذين يحكمون فى القضايا الجنائيات والجروح ، فيطلبون إلى كبراء هذه البلدة أن يغسلوا أيديهم

فوق العجلة التي نخرت من قفاها في الجدول ، ويقسموا أن أيديهم لم ترق دم القتل وأن أعينهم لم تره وهو يراق (أى يحلفون أنهم لم يقتلوه ولا علموا له قاتلا) ... وبذلك لا يحتمل بنوا إسرائيل تبعة هذا الدم ... » (١٤)

ويلاحظ أن الشريعة الإسلامية تقرر كذلك أنه إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله أجريت القسامة على أهل البلدة التي وجد في طرقها أو بالقرب منها ، وأنه إذا وجدت جثته بين بلدين أجريت القسامة على أقربهما مسافة من مكان الجثة. والقسامة في الإسلام أن يستحلف ولي الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة فيحلفون أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا ، فحينئذ يسقط القصاص ، ولكن تجب الدية على أهل البلدة جميعا ، يدفعونها متضامنين لأسرته (١٥) .

فلذا استعرضنا في ضوء هذه الحقائق ما ذكره سفر التثنية عن إجراءات القسامة ووازنا بينه وبين ما تقره الشريعة الإسلامية في هذا الصدد ، يظهر ما يلي :

١ - يتفق سفر التثنية مع الشريعة الإسلامية في إجراء القسامة على أقرب بلد إلى جثة القتل وفي اختيار طائفة من أهل البلد ليحلفوا أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا حتى يسقط عنهم القصاص . - واتفاق سفر التثنية

(١٤) فقرات ١ ٩ من اصحاح ٢١ من التثنية.

(١٥) انظر تفاصيل أحكام القسامة في كتب الفقه الإسلامي وفي كتابنا «حقوق الانسان في

الإسلام» الطبعة الخامسة ص ٢٦٢ إلى ٢٦٥ . وما ذكرناه هو مذهب أبى حنيفة .

مع الشريعة الإسلامية في هذه الأمور يجعلنا نرجح أن محررى هذا السفر قد استمدوا هذه الأحكام في جملتها من توراتهم الصحيحة ، وأن الله تعالى قد شرع للمسلمين في صدها ما سبق أن شرع مثله أو قريباً منه لليهود ، أى إنها من الأمور المشتركة بين الشريعتين والتي أشار إليها القرآن الكريم إذ يقول عن رب العزة « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى... » (١٦) .

٢- ولكننا نجد في سفر التثنية بجانب الأمور السابق ذكرها إجراء غريباً قد أقحم على إجراءات القسامة ، وهو الخاص بالعجلة التي يحضرها كبراء البلد وينحرونها من قفاها في جدول ، ويغسلون أيديهم فوقها مقسمين أنهم لم يقتلوا القاتل ولم يعلموا له قاتلاً . ويزيد من غرابة هذا الإجراء أنه لا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التي يريد أهل البلد أن يقرروها وهي براءتهم من دم القاتل ؛ لأن غسل أيديهم في جدول ملوث بدماء العجلة التي نحروها بأيديهم وصب الماء فوق هذه العجلة كل ذلك لا يصلح أن يكون رمزاً لبراءتهم من جريمة القتل ، بل إنه الخلق أن يكون رمزاً لاقترافهم إيها .

٣- وقد ورد لهذه البقرة ذكر في القرآن الكريم ولكن في صورة أخرى وفي حادثة قتل خاصة حدثت في عهد موسى ولم يعلم فاعلها ، وكانت البقرة عنصراً من معجزة أظهرها الله على يديه . وبيان ذلك ما ذكره الله تعالى في آيات ٦٧ - ٧٣ من سورة البقرة إذ يقول : « وإذ قال موسى

(١٦) آية ١٣ من سورة الشورى .

لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ؛ قالوا أتتخذنا هزوا ؟ ! قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؛ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ، فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؛ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ، قالوا الآن جثت بالحق ؛ فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريككم آياته لعلمكم تعقلون » .

وأشهر تفسير من تفاسير هذه الآيات وأصحها جميعاً أنه قد وقعت في عهد موسى عليه السلام حادثة قتل لم يعلم فاعلمها ، فطلب بنو إسرائيل إلى موسى أن يدعوه أن ينبئهم بمن ارتكب هذا الجرم . فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . فعجبوا لذلك إذ لم تظهر لهم علاقة بين ذبح البقرة والكشف عن القاتل ، وظنوا أن موسى يهزأ بهم . ولكن موسى بين لهم أن هذا هو ما أمر الله به لإظهار الحق في هذا الحادث . فأخذوا يستفسرون منه عن سن البقرة التي ينبغي أن يذبحوها وعن لونها وعن عملها . فلما شرح لهم ذلك كله بوحي من الله بحثوا حتى وجدوا بقرة تتوافر فيها هذه الصفات جميعاً فذبحوها . وأوحى الله تعالى إلى موسى أن يضربوا جثة القتيل بجزء من هذه البقرة ، فضربوها به ، فأحياء الله تعالى وذكر لهم اسم قاتله ، ثم مات ثانياً . فكان في ذلك معجزة لموسى من جهة ، وبيان

حسى من جهة أخرى لقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، وهو الأمر الذى كان يرتاب فيه بنو إسرائيل .

ولذلك يختم الله هذه القصة بقوله : «كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون» . وفيه كذلك إشارة إلى أن بعث الله تعالى الحياة فى ميت لا يتوقف على سبب من الأسباب التى تدركها عقولهم ، وإنما أمر الله إذا أراد ذلك أن يقول له كى فيكون ، فيحدث بدون سبب ما أوىحيء عقب أمر لا يتصور العقل أن يكون سببا له كما فى هذه الحادثة ؛ إذ لا يتصور العقل أن ضرب جثة الميت بجزء من جثة حيوان ميت يمكن أن يكون سببا لبعث الحياة فيه .

٤ - وبلاحظ أن أوصاف البقرة التى ذكرها الله فى هذه المعجزة تتفق فى جملتها مع أوصاف العجلة التى ذكرها سفر التثنية فى إجراءات القسمات ؛ وأن ذبح البقرة التى يذكرها القرآن كان فى حادث قتل معين لم يعلم مقتربه ، وذبح العجلة التى يذكرها سفر التثنية يجب إجراؤه ، بحسب نصوصه ، كلما وجد قتيل لم يعرف قاتله .

٥ - فيظهر أن الأمر قد اختلط على محررى سفر التثنية فخلطوا بين ما جاء فى التوراة الصحيحة أو فى أثر آخر من آثارهم خاصا بالمعجزة التى حدثت على يد موسى ، وما جاء فيها خاصا بإجراءات القسمات العادية ، وجعلوا ذبح العجلة جزءا من هذه الإجراءات ، مع أنه غريب عنها كل

الغرابية ، ولا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التي يراد تقريرها ؛ بل إنه لخليق أن يكون رمزاً لنقيضها كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق^(١٧) .

(١٧) فظن من قبلنا المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» إلى وجوه الشبه بين قصة البقرة في القرآن وأحكام القسامة في سفر التثنية ، ولكنه حاول التوفيق بينهما في صورة غريبة ، فجعل الآيات الواردة في القرآن مشتملة على قصتين : قصة ذبح البقرة في حالة وجود قتيل في بلد غير إسرائيلي . وجعلها إشارة إلى أحكام القسامة في سفر التثنية ؛ والأخرى قصة قتيل في بلد إسرائيلي اتهم فيه القوم بعضهم بعضاً ، فأمرهم الله أن يضربوا المتهم بعضو من أعضاء القتل (« اضربوه بعضها » أى ببعض الجثة) . - وهذا تفسير غريب لا يتفق مع سياق القرآن ولا مع ما فهمه الصحابة من الآيات ولا مع ما قال المفسرون في صدها . - هذا إلى أنه يحاول أن يطوع آيات القرآن حتى يجعلها متفقة مع ما جاء في سفر التثنية ناظراً إلى ما جاء في هذا السفر على أنه صحيح وأنه الأصل في الموضوع ، مع أنه ظاهر فيه الخلط والتخبط والاضطراب .

ولعل هذا وأشباهه من الأمور الواردة في هذا الكتاب هي التي دعت اللجنة التي ألفها المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين لفحص هذا الكتاب بعد أن وصلت إليه شكاوى واعتراضات كثيرة في صدد ما ورد فيه إلى أن تذكر في تقريرها : « أنها لا ترى تداوله بين طلاب المعاهد الدينية وغيرهم لأسباب أهمها أن مؤلفه تعسف في التأويل وخرج الآيات القرآنية تحريجا بعيدا إن لم يكن باطلا ، فخالف بذلك إجماع المفسرين .

ولم يكف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا . وهو مع ذلك يتصرف فيما ينقل من أقوال وينكر بعض الأحاديث الصحيحة ليحكم عقله ، ويجعل التوراة والإنجيل مهمين على القرآن » .

هذا ، وقد ورد كذلك في سفر العدد (فقرات ١ - ١١ من اصحاح ١٩ من سفر العدد) ذكر لبقرة سهاء صحيحة لا شبيه فيها ولم يعل عليها نير ووجوب ذبحها وحرقها ووضع رمادها في ماء ليكون ماء استغفار . ولكن لا علاقة بين هذه البقرة وشئون القسامة .

وصدق الله العظيم إذ يقول في صدد اليهود: «فما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما
ذكروا به» (١٨)

(١٨) آية ١٣ من سورة المائدة .

الفصل الثالث

القصص في أسفار اليهود

— ١ —

موضوع القصص وطريقته في أسفار اليهود

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح . فتكلست بإجمال على خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما في الجنة وبعد هبوطهما منها وما حدث لنسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان ، وقصة أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافت ؛ وعرضت بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهم الذين ينتمى إليهم بنو إسرائيل ، وبخاصة تاريخ آبائهم وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أو إسرائيل ؛ ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بني إسرائيل في مختلف مراحل حياتهم في مصر وسيناء وبعد استقرارهم في الأرض المقدسة ، وتاريخ من تولى شؤونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو موادة واتفاق ... وهلم جرا .

وقد استغرق هذا القصص حيزا كبيرا من أسفار العهد القديم وأسفار التلمود .

الفرق بين القصص في أسفار اليهود وقصص القرآن الكريم

عرض القرآن لكثير من القصص التي ورد ذكرها في هذه الأسفار غير أن أسفار اليهود قد تناولت كل قصة من هذه القصص في صورة سلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث ، كما تفعل كتب التاريخ ، وتناولتها لغرض تاريخي بحت ؛ على حين أن القرآن يكتفي بذكر مواقف من هذه القصص^(١٩) ، ولا يذكرها للتاريخ في ذاته ، وإنما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى ، ويذكرها بحسب المناسبات . فقد يذكر موقفا من قصة ما لمناسبة خاصة ، ثم موقفا آخر من القصة نفسها في سورة أخرى لمناسبة أخرى ، وموقفا ثالثا من القصة نفسها في سورة ثالثة . . . وهكذا ،

(١٩) لا يستثنى من ذلك من قصص الأنبياء إلا قصة يوسف فإن القرآن ذكرها كلها مرة واحدة في سورة واحدة ، ولم يعد إليها بعد ذلك . وفعل مثل ذلك في قصة أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون (سورة يس) . وذكر كذلك بعض قصص لغير الأنبياء مرة واحدة ، ولم يعد إليها بعد ذلك ، كقصة أهل الكهف ، ذى القرنين ، وصاحب الجنة وهو يخاور صاحبه (في سورة الكهف) ، وأصحاب الجنة إذا أقسموا ليعرفها مصحين (في سورة ن) ، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها (١٧٥ ، ١٧٦ في سورة الأعراف) ، والذي مرّ على قرية وهى هاوية على عروشها (٢٥٩ من سورة البقرة) .

وقد يعرض لعدة مواقف من قصة واحدة في سورة واحدة ويفصل بين كل موقف وآخر بفواصل طويلة أو قصيرة . وقد يكرر الموقف نفسه في عدة سور لتكرر المناسبة ؛ ولكن في لوحات بيانية مختلفة في صياغتها وألوان مناظرها ومتسقة مع ما يكتنفها من قبلها ومن بعدها من أى الذكر الحكيم .

هذا ، وقد انتاب القصص في أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح الذى ورد في القرآن ، كما انطوى على كثير من مظاهر التناقض والغفلة والكذب والخطأ في الحساب وجمع الأرقام كما يتبين ذلك في الفقرات التالية :

مظاهر التحريف في القصص الوارد في أسفار اليهود

يبدو تحريف القصص في أسفار اليهود في أمور كثيرة من أهمها ما يلي :

١- أن الذات العلية تبدو في أسفار توراتهم المزعومة ، وبخاصة في القديم منها كسفر التكوين ، وفي بعض أسفار التلمود في صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات الحوادث ، بل بكثير من صفات النقص ، وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق في طبيعتها ومسلكتها ، على النحو الذى بيناه في الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الباب (٢٠) :

٢- أن بعض من يذكر لنا القرآن أنهم رسل أو أنبياء تذكرهم أسفار اليهود على أنهم مجرد آباء قدامى Patriarches كنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان ، ومع ذلك تجيز اتصال الله بهؤلاء وأولئك بطريق مباشر واتصالهم به .

٣ أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء ، أو لبعض من تسميهم آباء لبني إسرائيل أو ملوكا لدولهم أعمالا قبيحة تتناقى مع وضعهم الدينى

(٢٠) انظر الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الباب ص ٣٣ وتابعها .

والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته ، ولا يتصور صدورها
'لا من سفلة الناس .

فمن ذلك ما تقصه توراتهم المزعومة عن إبراهيم حينما هاجر هو وزوجه
ارة إلى مصر على أثر ما أصاب بلاده من جذب ومجاعة ، إذ تذكر أن
إبراهيم قال لزوجته وهما فى طريقهما إلى مصر إنها امرأة جميلة وإن المصريين
'بد أن يفتتنوا بها ، وإذا علموا أنها متزوجة فس يقتلون زوجها لتخلص لهم
بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها أخته حتى تسلم له حياته ، بل
ربما ناله حينئذ من المصريين خير كثير . ولما وصلا إلى مصر ووقع نظر طائفة
من كبار رجال الحاشية الملكية على هذه المرأة الجميلة وعلموا من إبراهيم
أنها ليست متزوجة وأنها أخته ، وأنهم أوصافها إلى فرعون ، استدعاه إلى
قصره واتخذها من نسائه أو حليته له ، وبالف فى إكرام إبراهيم والإحسان
إليه من أجل ذلك ، ووهب له قطعانا من « الغنم والثيران والحمر » وعددا
من العبيد والإماء . ولكن أصيب الملك وحاشيته عقب ذلك بوباء مما
تصاب به الجماعة عادة إذا ارتكبت فيهم فاحشة من هذا القبيل .
فاستدعى الملك إبراهيم وأنبه تأنيبا شديداً لكذبه فى قرابة سارة منه وما
ترتب على كذبه هذا من معاملته لها كالأحدى نساءه مع أنها فى عصمة رجل
آخر . وما أصابه هو وقومه من جراء ذلك من وباء ، ثم أصدر أوامره بطرده
هو وامراته من بلاده . - ولكن تحقق لإبراهيم ما كان يبغيه من عافية
ومال : فقد سلمت له حياته ؛ وسمح فرعون بأن يحمل معه جميع ما سبق
أن وهبه له من أنعام وعبيد وإماء (٢١) . وكرر إبراهيم فعلته هذه -

(٢١) فقرات ١٠ - ٢٠ من إصحاح ١٢ من سفر التكوين .

بحسب ما يذكره سفر التكوين - حينما هاجر إلى منطقة جيران ، وكاد ابو مالك Abimelec حاكم جيران يرتكب الاثم مع سارة لولا أن أظهره الله في المنام على حقيقتها وأنها امرأة إبراهيم ، فاستدعاه الحاكم وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران والعبيد والإماء . (٢٢) -

فكأنما كان إبراهيم يتاجر بأمراته هذه متنقلاً بها من بلد إلى بلد .

ومن ذلك أيضاً ما تقصه توراتهم المزعومة عن لوط وابنتيه ، إذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتي سودوم وعمورة اللتين دمرهما الله تعالى لما كان يرتكبه أهلها من إتيان الذكور إلا لوط وابنتاه غير المتزوجتين ؛ وأن ثلاثهم قد أقاموا عقب ذلك في غار في جوف جبل مرتفع ؛ وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما : « إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً ، وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذى يفعله ذكور الناس مع إناثهم . وإذا بقى الأمر على هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا . وخير وسيلة لا لقاء هذه العاقبة هى أن نسق أبانا خمرا حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتى منه بذرية تخلد نسله » . وأنفذتا ما اتفقتا عليه . وقضت معه الكبرى الليلة الأولى والصغيرة الليلة التالية ، وواقع لوط كليتهما وهو فى نشوة سكره ، فحملتا منه ، وجاءت الكبرى بغلام اسمه مؤاب ، وجاءت الصغرى بغلام اسمه عمون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين (٢٣) .

(٢٢) اصحاح ٢٠ من سفر التكوين .

(٢٣) فقرات ٣٠ ٣٩ من الاصحاح ١٩ من سفر التكوين .

ومن ذلك ما يقصه السفر الثانى من سفرى صموئيل عن داود عليه السلام إذ يذكر أن دواود كان يمشى فى صباح يوم على سطح قصره الملكى ، فوقع بصره فى المنزل المجاور له على امرأة مفرطة الجمال وهى تستحم مجردة من جميع ثيابها ، فشغف بها حبا ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجة أوريا الحثى Urie de héthien ، أحد الجنود المرسلين فى حملة حرية تحت قيادة يؤاب Joab . فبعث داود فى طلبها ، فحجىء بها إليه وبعد أن قضى منها وطره عادت إلى منزلها وقد حملت منه . فاستدعى داود زوجها من الجيش وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ، ونفحه ببعض الهدايا ، وطلب إليه أن يذهب إلى منزله ليستريح هذه الليلة . وكان داود يرمى من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها إليه ، ولا تعلق بدواود ولا بالمرأة شبهة ما . ولكن الرجل أبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة واللذة فى بيته بينما جيش بلاده مشتبك فى معركة مع الأعداء . فلم يذهب إلى بيته ، وإنما قضى ليلته نائما مع خدام القصر الملكى . ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب إحجامه عن الذهاب لبيته ، فأجابه بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام فى بيته وزملاؤه يحاربون فى خارج البلاد . فطلب إليه أن يبقى يوما آخر ، ودعاه إلى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب إلى زوجته . ولكن أوريا لم يفقد رشده . فقضى ليلته هذه كما قضى ليلته السابقة نائما مع خدام داود فى القصر الملكى . ولما ضاق داود به ذرعا ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه إلى الجهة وأرسل إلى يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا فى أخطر جبهة فى ميدان القتال وأن يتخلى عنه حتى يقتل . فصعد يؤاب بالأمر ، وقتل أوريا فى الميدان . وحينئذ أتيح لداود أن يضم زوجته إلى نسائه بعد أن انقضى

حدادها على زوجها ، ووضعت حملها وهي في عصمة داود ، وخفي بذلك على جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيصة ، إذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها البطل وهو يذود عن حياض بلاده ، مع أنه كانت له زوجات وجوار كثيرات . فأرسل الله إليه ناثان Nathan وقص عليه قصة رجلين يملك أحدهما قطعانا كبيرة العدد من الأبقار والنعاج ، بينما لا يملك الآخر إلا نعجة واحدة . وفي أحد الأيام قدم ضيف على الغنى ، فمد يده إلى نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه . فغضب داود من فعلة هذا الغنى ، وقال لثانان إن هذا الرجل يستحق الموت ، ويجب أن يرد النعجة أربعة أضعاف . فقال له ناثان إنك أنت نفسك هذا الرجل . وأخذ يؤنبه ويتوعده بما سيحقيق به وبأهله من عذاب ونكال . فاعترف داود بذنبه ، واستغفر ربه وتاب إليه ، فغفر له . . . إلى آخر ما ورد في هذا السفر (٢٤) .

والقصة على هذا الوضع محض افتراء ، ولا يتصور صدور وقائعها من نسان عادى ذى خلق ، فضلا عن نبى كريم .

ومن ثم أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيراً إذ فسروا ما جاء في القرآن الكريم في صورة ص (٢٥) عن داود والخصمين اللذين اختصما إليه على النحو الذى ورد في سفر صموئيل ، مع أن العبارات التى ذكرت بها القصة في القرآن الكريم لا تدل صراحة على شئ من ذلك . ولذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : « من حدث بجديث داود على ما

(٢٤) الإصحاحين ١١ ، ٢٢ من السفر الثانى من سفرى صموئيل .

(٢٥) آيات ٢١ - ٢٥ من سورة ص .

يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة» ، يقصد بذلك ان من يحدث هذا الحديث فإنه يرتكب جريمة القذف بدون حق . وحد هذا القذف في الإسلام ثمانون جلدة ، ولكن إذا تناول القذف نيبا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين .

وأشنع من هذا كله ما أورده سفر الخروج ، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة ، عن قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبي ، إذ قص هذه القصة في صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يرعون لأنبيائهم حرمة ، ولا يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التي بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم إلى الشرك بالله . فقد نسب هذا السفر إلى هارون عليه السلام نفسه أنه قد يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ، ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيده في سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله . فذكر في إصحاحه الثاني والثلاثين أن موسى لما غادر قومه لتلقى الألواح من ربه ، وطال أمد غيابه عنهم ، طلبوا إلى هارون أن يصنع لهم إلها تدركه أبصارهم ، لأنهم لا يعلمون ما انتهى إليه أمر موسى ، ولا يدركون الإلاه الذى يحدتهم عنه . فطلب إليهم هرون أن يحضروا له جميع أقرات الذهب المدلاة من أذان نسائهم وبناتهم وبنينهم ، فجمعوا هذه الحلى ، فصهرها بنفسه ، وصنع منها عجلا ذهبا ليتخذوه إلها ، فخر بنو إسرائيل سجداً له ، وقدموا له القرابين ، وقالوا هذا إلاه إسرائيل الذى أخرجهم من مصر وأنقذهم من شقاءها (٢٦)

(٢٦) اصحاح ٣٢ من سفر الخروج .

وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة هذا العجل إشارة مجملة في عدة آيات ، منها قوله تعالى : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين (٢٧) » .

وذكر القرآن تفاصيل هذه القصة في سورتي الأعراف وطه مبينا كذب ما نسبته محرورو سفر الخروج إلى هارون ، فقرر أن الذي قام بصنع هذا العجل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم في أثناء غياب موسى لتلقى الألواح من ربه رجل سامرى ، أى منسوب إلى طائفة يقال لها السامرة ، (وهى جماعة من غير بنى إسرائيل اعتنقت اليهودية وامترجت بالإسرائيليين ، وكان الإسرائيليون ينظرون إلى أفرادها على أنهم أخط منهم كثيراً قادراً ومنزلة ، أو يرجع أصله إلى إقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين) ، وأن هرون لم يأل جهداً في نهيمهم عن ضلالهم والعمل على رجوعهم إلى دينهم الحق ، ولكنهم لم يستمعوا إليه ، وأن كل ما أخذه موسى على هرون أنه لم يتركهم ويلحق به ليلغمه ما انتهى إليه أمرهم ، أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه ، وأن هرون قد برر موقفه بأنه خشى إذا فعل ذلك أن يفرق بين بنى إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض ، وذلك إذ يقول في سورة طه :

« . . . فكَذَلِكَ أَتَى السامرى . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار »
(أى من الخلى التى أشار إليها فى الآية السابقة ، وهى الخلى التى أهداها

ليهم المصريون قبل خروجهم والتي اختلسوها منهم ، وقد صهرها السامرى على صورة عجل بداخل فمه تجاوب إذا مر فيها الهواء أحدث صوتا كصوت الخوار) « فقالوا هذا إلهكم وإلاه موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً . ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ؟ ! » (أى أن تركهم وتلحق بى لتنهى إلى أمرهم ، أو أن تقاثلهم بمن عسى أن يكون معك) « أفعصيت أمرى ؟ ! قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى » (٢٨) .

وإذ يقول فى سورة الأعراف : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؟ ! اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بشما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتكم أمر ربكم ؟ ! وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك ، وأنت أرحم الراحمين . إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين » (٢٩) .

(٢٨) آيات ٨٣ - ٩٨ من سورة طه .

(٢٩) آيات ١٤٨ - ١٥٢ من سورة الأعراف .

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلها يحسونه ، والتي ذكرها سفر الخروج في حادث العجل زاعما أنهم قد طلبوا ذلك إلى هارون وأن هارون قد أذعن لرغبتهم الآئمة ؛ فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح ، فقرر أن الطلب كان موجها إلى موسى نفسه لا إلى هارون ، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الإلاه ؛ وذلك إذ يقول : « وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلها ، وهو فضلكم على العالمين » (٣٠) .

ومن الشناعات التي تروىها كتبهم المقدسة المزعومة ما تذكره عن سليمان وأنه في أواخر ملكه ترك عبادة الله وانحرف إلى عبادة الأوثان ، وبنى لها معبدا وسقط في نظر الله (اصحاح ١١ من سفر الملوك الأول) . وفي الرد على هذا يقول الله تعالى : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا . . . » (آية ١٠٢ من سورة البقرة) .

٤ - أن التحريف قد يتناول قصة ما لتبرير وضع اجتماعي أو سياسى ظالم سار عليه بنو اسرائيل في مرحلة ما من مراحل تاريخهم .

فمن ذلك أن قصة نوح مع ابنه التي حدثنا عنها القرآن اذ يقول « ونادى نوح ابنه ، وكان في معزل : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ؛ قال لا عاصم اليوم من

(٣٠) آيات ١٣٨ - ١٤٠ من سورة الأعراف.

أمر الله إلا من رحم ؛ وحال بينها الموج ، فكان من المغرقين » (٣١) ، قد حرفها سفر التكوين تحريفا كبيرا إذ يذكر أن حاما بن نوح قد رأى أباه وهو سكران مكشوف العورة ، فسخر منه ، فلما أفاق نوح من سكره ، وعلم ما كان من ابنه حام ، دعا على ذريته ، وهم الكنعانيون ، بأن يكونوا عبيداً لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام ويافت (٣٢) . ويقصد الذين حرفوا هذه القصة إلى هذا الوضع الغريب ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق (٣٣) ، أن يبرروا الأوضاع الشاذة الظالمة التي كان يسير عليها بنو إسرائيل حيال الكنعانيين إذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم وأطفالهم ويتخذون منهم عبيدا وإماء ، زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم إلى الوضع الذي كتب عليهم في الأزل أن يكونوا عليه .

٥ - وفي كثير من قصصهم الواردة في عهدهم القديم بوجه عام ، وفي توراتهم المزعومة بوجه خاص ، من المتناقضات والمفارقات والغفلة عن حقائق سبق إيرادها والخطأ في جمع الأرقام وفي الحساب . . . ما يجل عن الحصر وما يضيف إلى الأدلة السابقة أدلة جديدة قاطعة بأن أسفارهم هذه من صنع أيديهم . وسنقتصر فيما يلي على إيراد بضعة أمثلة تنطوي على نماذج مختلفات من الكذب والتناقض في أقاصيص أسفارهم (٣٤) .

(٣١) آيتي ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود.

(٣٢) فقرات ٢٠ - ٢٩ ، اصحاح ٩ من سفر التكوين . وقد ذكرنا هذه القصة بتفصيل في لفقرة الثانية من الفصل الثاني من هذا الباب لبيان أن شريعتهم تقوم على التفرقة العنصرية . (٣٣) التعليق السابق نفسه.

(٣٤) أفرد العلامة ابن حزم في الجزء الاول من كتابه القيم «الفصل في الملل والأهواء والنحل» فصلا خاصا شغل حيزا كبيرا (من صفحة ٩٣ الى صفحة ١٦٦ من أكبر قطع) لضرب أمثلة لهذه =

فمن ذلك أن سفر التكوين يذكر في الفقرة الثانية من إصحاحه الرابع أن هابيل بن آدم كان راعي غنم ، ثم يذكر بعد ذلك في الفقرتين التاسعة عشرة والعشرين من الإصحاح نفسه أن يابال Jabal وهو في العقب السابع بعد هابيل (فهو يابال بن لام بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قابيل بن آدم) (Jabal, Lemec, Metuchaël, Mehujael, Irad, Henoc, Caïn, Adam) كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام .

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر في الفقرة الثالثة من إصحاحه السادس أن الله تعالى في عصر نوح قد غضب على النوع الإنساني فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز ١٢٠ مائة وعشرين سنة . ثم ذكر بعد ذلك في الإصحاح الحادى عشر من السفر نفسه أن سام بن نوح عاش ٦٠٠ سنة ، وأرفكشاد بن سام ٤٣٨ سنة ، وشالغ بن أرفكشاد ٤٣٣ سنة ، وعابر ابن شالغ ٤٦٤ سنة ، وفالغ بن عابر ٢٣٩ سنة ، ورعو بن فالغ ٢٣٩ سنة ، وسروج بن رعو ٢٣٠ سنة ، وناحور بن سروج ١٤٨ سنة ، وتارح ابن ناحور ٢٥٠ سنة .

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر في الفقرة الثانية والثلاثين من الإصحاح الخامس أن نوحا حينما بلغ خمسمائة سنة ولد له سام . وذكر في الفقرة السادسة من الإصحاح السابع أن الطوفان قد حدث حينما بلغ سام سن المائة . ثم ذكر بعد ذلك في الفقرة العاشرة من الإصحاح الحادى عشر من السفر نفسه أن سام حينما بلغ مائة سنة ولد له أرفكشاد وأن ذلك كان

الأمور، وجعل عنوانه: «فصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذى يسميه اليهود التوراة وفي سائر كتبهم يتعين بذلك تحريفها وأنها غير الذى أنزله الله عز وجل».

بعد سنتين من الطوفان . أى أن الطوفان قد حدث وسن سام ثمان وتسعين سنة لا مائة سنة كما ذكر من قبل .

ومن ذلك أيضا أن سفر التكوين قد ذكر فى الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من الإصحاح التاسع عشر أن الملكين اللذين أرسلتا لتدمير قريتي سدوم وعمورة قالوا للوط أخرج بنيك وبناتك (المتزوجات وغير المتزوجات ، وكان منهم اثنتان غير متزوجتين) وأصهارك (أزواج بناته) وكل من لك فى المدينة لأننا سندمرها . ثم ذكر فى الفقرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من الإصحاح نفسه أنه لما طلع الفجر كان الملكان يستعجلان لوطا قائلين له قم خذ امرأتك وبنيتك (غير المتزوجتين)

وأخرج بهن لأننا سندمر المدينة . ولما توالى أمسك الملكان بأيدي امرأته وبنتيه (غير المتزوجتين) وأخرجوهن . ويتبين من ذلك أن الملكين قد تناقضا فى أمرهما المكلفين به من قبل الله تعالى . فقد طلبا أولا إلى لوط أن يخرج بنيه وأصهاره وجميع بناته المتزوجات منهن وغير المتزوجات وجميع أهله ، ولكنهما فى المرة الثانية لم يطلبها إليه أن يخرج إلا امرأته وبنتيه غير المتزوجين . ويظهر من ذلك أيضا أن بنيه وبناته المتزوجات وأزواجهن قد هلكوا مع من هلك فى المدينة . وهذا يتناقض مع ما ذكره الملكان من قبل من أنهما ملكفان الإبقاء على هؤلاء .

ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر فى فقراته المحصورة بين التاسعة عشرة والسابعة والعشرين (٢٠ - ٢٦) من إصحاحه الخامس والعشرين

أن رفقة Rebecca زوجة اسحاق كانت عاقراً ، فدعا اسحاق ربه أن يهبه منها أولاداً ، فاستجاب له ربه ، وحملت امرأته ، وتزاحم في بطنها ولدان ، فضت لتلمس علماً من الله عز وجل علماً في بطنها ، فقال لها الله في بطنك أمتان تتفرعان عن توأمين أحدهما أكبر من الآخر (أى يولد قبل الآخر) وسيصبح كبيرهما مسخراً لصغيرهما . فلما كملت أيام حملها خرج من بطنها توأمين : خرج أولهما (وهو الأكبر) أحمر مكسو بفروة شعر ، ولذلك سموه عيسو Esai ، ثم خرج أخوه (وهو الأصغر) وبده ممسكة بعقب عيسو ، ولذلك سمي يعقوب . - ثم جاء بعد ذلك في الإصحاحين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين من السفر نفسه أن يعقوب (وهو الأصغر) هو الذى كان خاضعاً لعيسو (الأكبر) وأنه سجد على الأرض سبع مرات إجلالاً لعيسو ، ولم يخاطبه إلا بالعبودية والتذلل المفرط ، وأن جميع أولاد يعقوب (ماعدا بنيامين الذى لم يكن قد ولد بعد) قد سجدوا لهمم عيسو ، وأن يعقوب أهدى لعيسو تقرباً إليه والتماساً لرضاه خمسمائة وثمانين رأساً من ضأن ومعز وبقر وإبل وحمير ، وأن يعقوب رآها منه عظيمة إذ قبلها منه ، وأن بنى عيسو لم يخضعوا قط لبني يعقوب بل إن بنى يعقوب هم الذين خضعوا لبني عيسو في أثناء مرحلة كبيرة من مراحل تاريخهم .

ومن ذلك أيضاً أن سفر التكوين قد ذكر في إصحاحه السابع والعشرين أن اسحاق (وكان قد كف بصره) قال لابنه عيسو يابنى قد شخت ولا أعلم يوم موتى ، فاخرج وصد لى صيدا . واصنع لى منه طعاما كما أحب ، واثنى به لآكله كى أباركك قبل أن أموت ، وأن رفقة امرأة

اسحق وأم عيسو ويعقوب قد أرادت أن يختص ابنها يعقوب بهذه البركة ، فدبرت حيلة لتحقيق غرضها ، فأمرت يعقوب أن يأخذ جدين وتصنع هي منهما طعاما لإسحق ، ويأتى بهما يعقوب إلى اسحق أبيه فيقدمها إليه ليباركه ، وأن يعقوب قال لأمه إننى أخشى أن يكشف أبى هذه الخديعة حينما يتحسس جسمى فيجدنى أجرد ، مع أن جسم أخى عيسو مكسو بفروة شعر ، فأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له سأدبر حيلة لذلك ، فأخذت ثياب عيسو ابنها الأكبر وألبستها يعقوب . ووضعت جلود الجدين على يديه وعلى حلقه ، حتى إذا تحسس اسحق جسمه ظن أنه جسم عيسو . وأعطت يعقوب الطعام ، فجاء به إلى أبيه ، وقال يا أبى ، فقال له اسحق من أنت يا ولدى ؟ قال يعقوب أنا ابنك عيسو برك (أى أكبر ولديك) صنعت جميع ما قلت لى ، فاجلس وكل من صيدى وبارك على ! فقال اسحق تقدم لأتحسس جسمك ولأبين هل أنت عيسو أم لا . فتقدم يعقوب فحسه اسحق ، وقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . وقال هل أنت ابنى عيسو ؟ فقال نعم أنا ابنك عيسو . فبارك عليه وقال له فى بركته : تخدمك الأمم ، وتخضع لك الشعوب ، وتكون مولى إخوتك ، ويسجد لك بنو أمك .

وحدث بعد ذلك أن عيسو أتى بالطعام إلى اسحق ، فعرف اسحق الخديعة التى عملها ابنه يعقوب ، ولكن اعتذر لعيسو ، وقال له قد خدعنى أخوك يعقوب واختص ببركتى ، وصيرته سيذا لك ، وجعلت جميع إخوته عبيداً له ولأولاده ، فماذا عسى أن أعمله لك بعد ذلك ؟ ! فقال عيسو لأبيه ألك بركة واحدة يا أبى ، باركنى أنا أيضاً . ورفع عيسو صوته وبكى . فباركه اسحق قائلاً : سيكون مسكنك فى بلد مجرد من

دسم الأرض وغيث السماء ، وستعيش مما يفيئه عليك سيفك . تستعبد
لابخوتك ، ولكنك ستجمع وتكسر نير الاستعباد عن عنقك .

وقد بين العلامة ابن حزم ، فى نقد لاذع وتحليل رائع ، مافى هذا
النص من أكاذيب وخرافات ومتناقضات إذ يقول (٣٥) .

« وفى هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات »
« فأول ذلك إطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه
وغشه . وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء .
فكيف من نبي مع أبيه وهو نبي أيضاً ؟ ! هذه سوءات مضاعفات » .

« وثانية ، وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة بغش
وخديعة وتخابث . وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا . ولعمري إنها
لطريقة اليهود ، فما تلقى منهم إلا الخيث الخادع وإلا الشاذ » .

« وثالثة وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على
طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا » .

« ورابعة وهى أنه لا يشك أحد فى أن اسحق عليه السلام إذ بارك
يعقوب حينما خدعه ، كما زعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس ، إنما
قصد بتلك البركة عيسو ، وأنه دعا لعيسو لا ليعقوب . فأى منفعة
للخديعة هاهنا ، لو كان لهم عقل . وما أشبه هذه القضية بحمق الغالية من

(٣٥) انظر الجزء الأول من «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم صفحة ١٠٨
وتابعها . وانظر كذلك أمثلة كثيرة من هذا القبيل فى كتاب «أظهار الحق» لرحمة الله الهندى ، فقد
خصص لذلك نحو ٣٥ صفحة (من ٥٦ - ٧٦ ومن ١٢٣ - ١٣٨ من كتابه هذا (طبعة مكتبة
الوحدة العربية بالدار البيضاء) .

الرافضة القائلين إن الله تعالى بعث جبريل إلى على ، فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد . (فأصبح محمد نبيا مع أن عليا كان هو المقصود عند الله) . وهكذا بارك اسحق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب . فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله » .

« فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية » .
« وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً . من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام ، وهو نبى الله تعالى ورسوله ، في أربعة مواضع » .
« أولها وثانيها قوله لأبيه اسحق أنا ابنك عيسو وبكره . فهاتان كذبتان في نسق ، لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره » .

« وثالثها ورابعها قوله لأبيه صنعت جميع ماقلت لى فاجلس وكل من صيدى . فهاتان كذبتان في نسق ، لأنه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده » .

« وكذبات أخرى وهى : بطلان بركة اسحق إذ قال ليعقوب تخدمك الأمة وتخضع لك الشعوب وتكون مولى إخوتك ، ويسجد لك بنو أمك ، وبطلان قوله لعيسو تستعبد لأخيك » .

« فهذه كذبات متواليات . فوالله ماخدمت الأمم يعقوب ولابنه بعده ، ولا خضعت لهم الشعوب ، ولا كانوا موالى إخوتهم ، ولا سجد لهم ولا له بنو أمه . بل إن بنى إسرائيل هم الذين خدموا الأمم في كل بلدة وخضعوا للشعوب قديما وحديثا في أيام دولتهم وبعدها . فإن قالوا سيكون ذلك ، قلنا لهم :

قد حصلتم على الصغار يقينا والأمانى بضائع السخفاء
ترجى ربيع أن ستحيا صغارها بخير وقد أعيأ ربيعا كبارها
لأسيما مع تقضى جميع الآماد التى كانوا ينبئون بأنها لاتتقضى حتى
يرجع أمرهم .»

« واعلموا أن كل أمة أدبرت فإنهم ينتظرون العودة ويمنون أنفسهم
بالمراجعة ، بمثل ماتنى به إسرائيل نفسها ، ويذكرون فى ذلك مواعيد
كمواعيدهم . فأمل كأمل ولا فرق . كانتظار مجوس الفرس بهرام هماوند
راكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى . . .

تمن^١ يلد المستهام بمثله وإن كان لا يغنى فتىلا ولا يجدى
وغيط على الأيام كالنار فى الحشا ولكنه غيط الأسير على القد »

« وأما قوله تكون مولى إختوك ويسجد لك بنو أمك ، فلعمرى لقد
صح ضد ذلك جهارا ، إذ فى توراتهم أن يعقوب كان راعيا لأنعام ابن
عمه لابان بن ناحور بن لأمك وخادمه عشرين سنة ، وأنه بعد ذلك
سجد هو وجميع ولده - حاشا من لم يكن خلق منهم بعد - لأخيه عيسو
مرارا كثيرة .»

« وما سجد عيسو قط ليعقوب ، ولأملك قط أحد من بنى يعقوب
بنى عيسو . وقد تعبد يعقوب لعيسو فى جميع خطابه له ، وما تعبد قط
عيسو ليعقوب . وقد سأل عيسو يعقوب عن أولاده فقال له يعقوب هم
أصاغر من الله بهم على عبدك . وقد طلب يعقوب رضاء عيسو وقال له :
إنى نظرت إلى وجهك كمن نظر إلى بهجة الله ، فارض عنى ، واقبل ما
أهديت إليك . فما نرى عيسو وبنيه إلا موالى يعقوب وبنيه .»

« فما نرى تلك البركة كانت إلا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان .
ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث في زعمهم أن تخرج معكوسة
منكوسة » .

ومن عجب أنه مع هذا الخلاف الجوهري الكبير بين قصص القرآن
وقصص أسفارهم وتوراتهم المزعومة ، وبين نور الحق فيما جاء به الكتاب
الكريم وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاءت به أسفارهم ، لا
ينفك كثير من المستشرقين ومن يدور في فلكهم يزعمون أن محمدا قد نقل
قصصه من قصص اليهود : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون
إلا كذبا » (٣٦) . - وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله . « وكلا نقص
عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين » (٣٧) ، وإذ يقول : « لقد كان قصصهم عبرة لأولى
الألباب . ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٣٨) .

(٣٦) آخر آية ٥ من سورة الكهف.

(٣٧) آية ١٢٠ من سورة هود.

(٣٨) آية ١١١ من سورة يوسف.

الباب الثالث

فرق اليهود

نظرة مجملة في فرق اليهود

انقسم اليهود في مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية^(١) تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودي وروحه من الفرق الأخرى . وأهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى Traditions orales وأسفار التلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم . وقد انقرض معظم فرقهم ولم يبق منها في الوقت الحاضر إلا القليل . وترجع أهم فرقهم الباقية والمنقرضة إلى خمس فرق ، وهي فرقة الفريسيين ، وفرقة الصدوقيين ، وفرقة السامريين ، وفرقة الحسديين ، وفرقة القرائين .

وسنعتقد فيما يلي لكل فرقة من هذه الفرق فقرة على حدة .

(١) انقسم اليهود كذلك من الناحية السياسية إلى عدة فرق ودويلات ، ومن الناحية القبلية إلى عدة قبائل وعشائر ويطون ؛ ولكننا سنقصر حديثنا في هذا الباب على فرقهم الدينية ، لأنها هي وحدها التي تتصل بموضوع كتابنا .

فرقة الفريسيين Pharisiens

وهى أهم فرق اليهود وأكثرها عددا فى ماضى تاريخهم وحاضره .
وترجع أهم مميزات هذه الفرقة من ناحية العقيدة إلى الأمرين الآتين .

١ - أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية
المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود . بل إن فقهاءهم (وهم الذين يطلق
عليهم اسم الربانيين) هم الذين ألفوا أسفار التلمود كما سبق بيان
ذلك (٢) .

٢ - أنها تؤمن بالبعث ، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون
فى هذه الأرض ليشاركوا فى ملك المسيح المنتظر الذى يزعمون أنه سيأتى
لينقذ الناس ويدخلهم فى ديانة موسى (٣) .

* * *

(٢) انظر أول الفصل الثانى من الباب الأول (ص ٢٦) .

(٣) انظر الفقرة الثانية من الفصل الأول من الباب الثانى (صفحتى ٤٩ ، ٥٠) .

وتذكر أناجيل المسيحيين أن الفريسيين كانوا من ألد أعداء المسيح عيسى بن مريم ، وأنهم هم الذين حاولوا أن يظهره بمظهر الداعى إلى شق عصا الطاعة على قيصر ، وكانوا على رأس المتآمرين به ، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم عليه بالصلب (٤) .

وتتضمن هذه الأناجيل فصولا طويلة يوجه فيها المسيح عليه السلام تقريرا شديدا إلى الفريسيين ويكشف عن كفرهم ونفاقهم والتوائهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم تعاليم وأحكاما فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان (٥) .

ولا نعلم على وجه اليقين متى تكونت هذه الفرقة . ومن أشهر ما قيل فى هذا الصدد ما ذكره المؤرخ اليهودى يوسفوس Flavivs Jpsephus (٦) من أنها تكونت فى عهد يوناثان Uonathan الذى كان صديقا حميا لداود عليه السلام .

(٤) انظر مثلا انجيل حتى ، الإصلاح الثانى والعشرين والإصحاحات التالية له إلى آخر هذا الانجيل .

(٥) انظر مثلا إلا صحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى .

(٧) فيلافيوس يوسفوس ، ولد سنة ٣٧ بعد ميلاد المسيح ، أى عقب حادث الصلب الذى يزعمه النصارى ، وتوفى سنة ٩٥ ، وهو من أقدم الباحثين فى تاريخ اليهود ومن أشهرهم وأوثقهم .

وكلمة الفريسيين تفيد في أصلها معنى المعتزلة أو المنعزلين^(٧) . ولا يعرف بالضبط من أطلق عليهم هذا اللقب ، ومن الذى لقبهم به . ويظهر أن خصومهم الصدوقيين الذين ستتكلم عليهم في الفقرة التالية هم الذين أطلقوه عليهم . أما الفريسيون أنفسهم فكانوا يطلقون على أفراد فرقهم لقب الإخوان أو الرفقاء

ويطلق كذلك على هذه الفرقة لقب الربانيين لأنهم يؤمنون بما جاء في أسفار التلمود التى ألفها الربانيون وهم أحبار هذه الفرقة وفقهاؤها .

(٧) أطلق لقب « المعتزلة » كذلك على طائفة من علماء « الكلام » (التوحيد) المسلمين . وقيل عن السبب في إطلاق هذا اللقب عليهم أن مؤسس مدرستهم وهو واصل بن عطاء قد « اعتزل » مجلس أستاذه الحسن البصرى حينما اختلف معه في الحكم على مرتكب الكبيرة ، فقد ذهب واصل بن عطاء إلى أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين (بن الإيمان والكفر) ، بينما يذهب أهل السنة إلى أنه مؤمن عاص . وإذا كان هذا هو السبب في إطلاق لقب « المعتزلة » عليهم فلا تكون هناك علاقة بين لقبهم ولقب الفروسيين .

ولكن المقرئ قد ذهب إلى وجود علاقة بينها إذ يقول في خططه إنه كان منتشرًا في عصر ظهور المعتزلة المسلمين طائفة من اليهود اسمهم الفروشم ، ومعنى ذلك « المعتزلة » وأن هذه الطائفة تشبه في بعض أقوال المعتزلة . فلا يبعد أن يكون بعض من أسلموا من اليهود قد أطلقوا هذا اللقب عليهم لوجوده الشبه بينهم وبين الفروشم . ومن أظهر وجوه الشبه بينها أن معتزلة اليهود (الفروسيين) كانوا يفسرون التوراة على مقتضى منطق الفلاسفة ، وكان معتزلة المسلمين كذلك يتناولون كل ما في القرآن من أوصاف فيؤولونه على مقتضى منطق الفلاسفة . (انظر في ذلك كلمة بعنوان « المعتزلة » في عود ٧١/١١/٨ جريدة « الأخبار ») .

فرقة الصدوقيين Saduccéens

وهى الفرقة التى كانت تالية فى الأهمية لفرقة الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسيح وفى المرحلة الأولى اللاحقة للميلاد . وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودى فى هاتين المرحلتين بحوادث الخلاف والمشادات بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين .

ويرجع أهم ما تختلف فيه هذه الفرقة من ناحية العقيدة عن فرقة الفريسيين إلى الأمرين الآتيين :

١ - أنها لا تعترف إلا بالعهد القديم ، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى (وأما أسفار التلمود فقد ألفها فيما بعد فقهاء الفريسيين كما تقدم بيان ذلك فى الفقرة السابقة) .

٢ - أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر ؛ وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم .

وتذكر أناجيل المسيحيين أن هذه الفرقة قد حاولت أن تستدرج المسيح حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر وينضم إليهم فى ذلك ضد الفريسيين ؛ ولكنهم أخفقوا فى ذلك ، وبين لهم المسيح فساد ما يعتمدون عليه من أدلة فى هذا الموضوع .

فقد جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من إنجيل متى « أن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاءوا إلى المسيح قائلين له يا معلم لقد قال موسى إذا

مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ابناً ينسب إلى أخيه ويخلد ذكره . فكان عندنا سبعة إخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر ، فتزوج أخوه امرأته ولم ينجب ولداً . وحدث مثل ذلك لجميع من بقى من الإخوة . فلأى أخ من هؤلاء الإخوة تكون هذه المرأة يوم القيامة . فقال لهم يسوع إنكم لتضلون وتجهلون أسفاركم وتشكون في قدرة الله . ألم تعلموا أن الناس في الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة الله في السماء ؟ ! والعجب لكم كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنكم تقرأون في كتبكم أن الله قد قال أنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ؛ والله تعالى إله للأحياء ولا يصح أن يكون إلهاً للأموات . فلما سمعوا منه ذلك بهتوا من حجته ، وسر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين » .

ويذكر العلامة ابن حزم أن هذه الفرقة تنسب إلى رجل يسمى صدوق Sadoc وكانت تقول إن العزيز ابن الله ^(٨) وهو من تسميه أسفار اليهود عزرا Esdras . ولعل هذه الفرقة هي التي يعينها القرآن الكريم إذا يقول « وقالت اليهود عزيز ابن الله » ^(٩) .

وتمتاز كذلك هذه الفرقة بحرصها على إقامة علاقات ودية مع الشعوب الأخرى ، بينما كانت فرقة الفريسيين تنظر إلى غير الإسرائيليين نظرتها إلى

(٨) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الجزء الأول ص ٨٢ .
(٩) آية ٣٠ من سورة التوبة .

عدو ، بل كانت تنظر هذه النظرة إلى غير أفراد نخلتها من اليهود أنفسهم (١٠) .

ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين ، ومع انجهاها الودى نحو الشعوب الأخرى ، فإنها كانت لا تقل عن فرقة الفريسيين فى مبلغ عداوتها للمسيح والكيد له وتعويق رسالته . وكانت هذه الفرقة أقل كثيرا فى أتباعها من فرقة الفريسيين ، بل إن الأغلبية الساحقة من اليهود كانوا ينفرون من تعاليمها ويتاجزونها العداء .

(١٠) ولعل فرقة الصدوقيين هى التى يقول فيها القرآن الكريم «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بالنظار يؤده إليك» ولعل فرقة الفريسيين هى التى يقول فيها عقب ذلك «ومنهم من إن تأمنه بدینار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» (آية ٧٥ من سورة آل عمران) . والأميون نسبة إلى الأمم ، وكان الإسرائيليون يطلقون هذا اللقب على غير بنى إسرائيل ، وقد وردت تسميتهم بذلك فى كثير من أسفار العهد القديم .

فرقة السامرية (١١)

تختلف هذه الفرقة عن الفرقتين السابقتين بأنها لا تؤمن إلا بالأسفار الخمسة التي تمثل القسم الأول من « العهد القديم » وسفر يوشع وسفر القضاة (١٢) ، وتنكر بقية أسفار العهد القديم وأسفار التلمود . ونصوص الأسفار المعتمدة لديهم تختلف في كثير من المواضع عن النصوص المشهورة لهذه الأسفار وهي النصوص المعتمدة عند غيرهم . وهم مثل الصدوقيين لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر .

وذكر ابن حزم أنهم « يطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام ، فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع وإلياس وعاموص وحقوق وزكريا وأرميا وغيرهم ، وأنهم يقولون إن مدينة القدس هي نابلس ، وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه . وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها » (١٣) .

(١١) لعلمهم سموا بذلك لأن نحلهم قد ظهرت في اقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين . وكانت كلمة السامريين تطلق كذلك على جماعة من غير بني اسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالاسرائيليين . وكان الاسرائيليون ينظرون الى أفرادها على أنهم أحط منهم قدرا ومنزلة .

(١٢) انظر الفصل الأول من الباب الأول (صفحة ٩ وتابعها إلى آخر ص ١٣) .

(١٣) ص ٨٢ من الجزء الأول من كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم .

فرقة الحسديين

(١٤) Esseeniens

ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد . وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا فى عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها .

فن أهم ما يمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرايين ، مع أن الأضحية والقرايين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، وقد خصص لها قسم كبير من سفر من أسفار توراتهم المزعومة وهو سفر اللاويين كما تقدم بيان ذلك^(١٥) ومن مميزاتها فى العبادات كذلك أنه يكثر فى شعائرها مناسبات الغسل والوضوء . ومن أهم ما يمتاز به فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس فى القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب .

(١٤) كلمة الحسديين مأخوذة من كلمة حسديم بمعنى المشفقين (الباء والميم علامة الجمع فى العبرية) - وقد وصلت إلينا أخبار هذه الفرقة بفضل ما كتبه عنها فيلون (فيلسوف يونانى من أصل يهودى ، ولذلك اشتهر باسم فيلون اليهودى ، ولد حوالى ٢٠ ق م) ، وما كتبه عنها المؤرخ اليهودى يوسيفس . وقد اشار كذلك الى هذه الفرقة مشيدا ببعض نظرياتها العلامة مونتسكيو فى كتابه روح القوانين : انظر

Montesquieu: de l'Esprit des Lois' T. 1' P. 106

(١٥) انظر ص ١١ .

فمن مبادئها العمل على إلغاء الحروب ، وأن يعيش العالم فى سلام دائم ، ومجانبة الإضرار بالخلق وعدم إيذاء أى إنسان حتى لو كان ذلك لتربيته وتعويدته الامتثال والطاعة ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء فى ذلك الإسرائيليون منهم وغير الإسرائيليين ، وتحريم طرائق الكسب غير السليم وابتزاز الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء فى التعامل مع اليهود أو غير اليهود . وهذا على عكس كثير من الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على التفرقة العنصرية وتبيح لأفرادها فى علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهود مالا تبيحه فى علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض كما تقدم بيان ذلك (١٦) .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بمبادئ الحرية أنها تحرم نظام الرق ، وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان ، وأن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على الرق ، وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم ، كما سيأتى بيان ذلك فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى ، وعاشوا جماعات حول شاطئ البحر الميت . فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية ، وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا

(١٦) انظر صفحات ٥٣ - ٥٥ .

جماعيا شائعا يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة في مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه . وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها في كل قرية من قرَاهم مفتحة الأبواب لكل رفيق من جماعتهم ، سواء أكان من أهل القرية أم قادم من خارجها . ومن ثم يعتبر مذهب هذه الفرقة في شئون الاقتصاد من أقدم المذاهب الشيعوية في العالم ، ويعتبر أتباعها من أقدم المجتمعات الإنسانية التي أخذت بهذا المذهب وطبقته في حياتها بالفعل . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت تجيز الملكية الفردية الخاصة وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير في أسفارهم كما سيأتى بيان ذلك في القسم الثانى من هذا الكتاب .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالشئون المهنية أنها تحرم الاشتغال بالتجارة لما تبعثه في النفوس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس ، كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم ، وهو أن يعيش الناس في سلام دائم ، وتحرم كذلك استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لما يبعثانه في النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح . ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة وما يحتاج إليه ويتصل بها من صناعات - وهى في ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الاقتصادى لهذه الفرق شئون التجارة

**وجهاة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق
لنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس .**

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب
التهنل والبعد عن النساء . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي
كانت ترى أن الزواج واجب ديني لكل قادر عليه وأن من يحجم عن
الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل ، لأن كليهما ، على
حد تعبيرهم « يطفى نور الله ، وينتقص ظله في أرضه ويبعد رحمته عن
إسرائيل » . بل لقد رأى بعض فقهاءهم أن من بلغ العشرين وهو أعزب
يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج (١٧) .

ومن أهم ما تمتاز به فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة
الناعمة وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم ، وتنظر
إلى هذه المتع على أنها شرور ، وتحرم شرب الخمر وأكل اللحوم وتوجب
الاقتصار على الأغذية النباتية (١٨) .

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف في معظم ما تذهب إليه تعاليم
العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون
من فرق اليهود . - والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة
الجنس ، لأن أفرادها كانوا من بني إسرائيل .

(١٧) نظر في ذلك كتابنا « قصة الزواج والعزوبة في العالم » ص ٥ ، ٦ ، ٥٥ .

(١٨) V. L. G. Rylands: Evolution of Christianity P. 55 et suiv

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا ، فقد انقرضت في أواخر القرن الأول
الميلادى ، أى أنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون .
وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان (وهو سيدنا يحيى بن
زكريا عليهما السلام) كان من هذه الفرقة ؛ ولكن لم يقدم أصحاب هذا
الرأى بين يديه دليلا يعتد به .

فرقة القرائين أو العنانيين

والممهدون لها وما انشعب عنها من طوائف وما حدث بينها وبين الربانين من خلاف وخصومات

هى أحدث الفرق اليهودية جميعها . فقد أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود فى بغداد فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد ، فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (كانت خلافته من سنة ٧٥٤ إلى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد) ، أى بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرناً . ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء فى العهد القديم وحده ، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانين والحاخامات . ومن ثم أطلق على فرقهم اسم « العنانيين » نسبة إلى منشئها عنان بن داود ، واسم « القرائين » نسبة إلى « مقرا » بمعنى الكتاب أو المكتوب L' Ecriture وهى الكلمة التى كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم ^(١٩) ؛ فعنى القرائين المتمسكون بالكتاب وحده أى أسفار العهد القديم وحدها . - ولا يزال لهذه الفرقة أتباع كثيرون من اليهود فى مختلف البلاد فى العصر الحاضر .

والتمسك بما جاء فى العهد القديم وحده أو بما جاء فى بعض أسفاره وحدها ورفض ما عدا ذلك ليس جديداً كل الجدة فى تاريخ الفرق

(١٩) وأما كلمة «العهد القديم» فهى تسمية أطلقت على كتب اليهود فى العصور المسيحية للفرقة بينها وبين اعتمده المسيحيون من اسفارهم التى أطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» .

اليهودية ، فقد أخذت به من قبل ظهور القرائن بأمد طويل فرق يهودية قديمة منقرضة كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . - ومن ثم يعد مذهب القرائن في كثير من عناصره مجرد إحياء لمذاهب هذه الفرق .

وقد ألغى عنان جميع التشريعات التي قررها الربانيون مستندين في تقريرها إلى أسفار التلمود ، وأدخل على كثير من تشريعاتهم التي استمدوها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدتها هو من اجتهاده الخاص ومن فهمه لنصوص هذا العهد . فقد انفرد في استنباط الأحكام من هذه النصوص بآراء كثيرة ذكر طائفة منها في كتابه الذي ألفه في تفسير التوراة (كتب موسى ، وهي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم : أسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين) . - غير أنه قد تجاوز أحياناً هذا النطاق ، فقرر أحكاماً تتعارض مع نصوص صريحة لأسفار العهد القديم .

ومن أهم التشريعات التي خالف فيها الأحكام المقررة عند الربانيين معتمداً على اجتهاده الخاص في فهم النصوص أنه حرم زواج العم من ابنة أخيه وزواج الخال من ابنة أخته . ومن أهم التشريعات التي خالف فيها نصوصاً صريحة من التوراة أنه سوى بين الابن والبنت في الميراث وقرر أن الزوج لا حق له في تركة امرأته (٢٠) .

وقد مهد لظهور فرقة القرائن بعض حركات إصلاحية دينية حدثت قبيل ظهورها وإن كان أصحابها لم يكتب لهم النجاح فما دعوا إليه . ومن

(٢٠) انظر القواعد التي كان يسير عليها الميراث عند اليهود في الفقرة الخامسة من القسم الثاني

أهم هذه الإصلاحات ما نادى به سيرينوس وما نادى به عبوديا بن عيسى

أما سيرينوس فهو يهودى من أهل سوريا نادى بإصلاحاته حوالى سنة ٧٢٠ ميلادية ، وجعل شعاره : « اتركوا تعاليم التلمود » وتبعه ناس كثيرون ، فعظم شأنه ، وامتلا زهوا ، حتى لقد أعلن أنه المسيح المنتظر ، وكادت تحدث من جراء ذلك فتنة كبيرة فى العالمين اليهودى والإسلامى كليهما ، فقبض عليه وقدم إلى الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك (كانت خلافته من سنة ٧٢٠ إلى سنة ٧٢٤ ميلادية) فرأى الخليفة ، حسما للفتنة . أن يسلمه إلى اليهود أنفسهم ليتولوا محاكمته . وانتهى بذلك أمره .

وأما عبوديا بن عيسى فهو يهودى من أصفهان نادى بإصلاحاته حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية ، واتخذ الشعار نفسه الذى اتخذه سيرينوس ، وهو عدم الاعتراف بالتلمود ، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية المستمدة من التوراة نفسها ، فألغى الطلاق ، وجعل فرائض الصلاة أربعة بدلا من ثلاثة فى اليوم ، وحرم أكل اللحوم وشرب الخمر . - وقد أشار العلامة ابن حزم إلى هذه النحلة ، وذكر أن أصحابها يقرون بنبوة عيسى ونبوة محمد عليهما السلام . وذلك إذ يقول : « والعيسوية هم أصحاب أبى عيسى الأصفهاني رجل من اليهود كان بأصفهان . وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى . وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد ﷺ . ويقولون إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى إسرائيل على ما جاء فى الإنجيل وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل . ويقولون أن محمدا ﷺ بنى أرسله الله تعالى

بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل وإلى سائر العرب . كما كان أيوب نيبا في بنى عيص وكما كان بلعام نيبا في بنى مؤاب بإقرار من جميع فرق اليهود » (٢١) .

وقد حاول عبودياً هذا هو وأنصاره استخدام القوة في فرض آرائهم على طوائف اليهود ، فأخفقوا في محاولاتهم ، ومنوا بعدة هزائم منكرة وانتهى بذلك أمرهم .

* * *

وقد نجح عنان فيما أخفقت فيه هذه الطوائف من قبل . ولكنه فتح باب الاجتهاد في فهم النصوص المقدسة ، وسمح لكل قادر على ذلك أن ينشئ له مذهباً فرعياً خاصاً في نطاق الأصول العامة التي قام عليها مذهبه ، فترتب على ذلك أن حدث الانقسام في فرقة القرائن نفسها ، وانشعبت منها طوائف كثيرة من أشهرها طائفة بنيامين بن موسى وطائفة الأكبرية .

أما بنيامين بن موسى فهو فارسي من نهاوند ، نادى بتعاليمه في أوائل القرن التاسع الميلادي . وهى في جملتها مستمدة من تعاليم عنان ، مع بعض آراء تأثر فيها بمذاهب المعتزلة وفلاسفة الإسلام ، وخاصة الفارابى وابن سينا . ومن أهم ما ذهب إليه في شئون العقيدة أنه أنكر ما يوهمه ظاهر العهد القديم إذ يصور الذات العلية في صورة مجسمة تشبه صور الحوادث ، وإذ يقرر أن الله تجلى لموسى في سيناء وكلمه ، لما ينطوى عليه ذلك من حلول الله في المكان وإخراجه للصوت ، وأنكر أن يكون الله قد

(٢١) ص ٨٢ من الجزء الأول من كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم.

تولى عملية الخلق فى صورة مباشرة ، لما ينطوى عليه ذلك من التغير والحركة ومن اتصال الله بالمادة ، وذهب إلى أن الله خلق الملائكة ، وهم كائنات روحية غير مادية ، وهذه الكائنات هى التى خلقت العالم المادى . وهنا يبدو التأثير بمذهب الفارابى فى نظرية «العقول» التى انبثقت عن الله تعالى كما ينبثق الضوء من الشمس ، وتولت لاشراف على خلق الكائنات السماوية والأرضية وعلى مختلف شئونها (٢٢) .

وقد انضم إلى نخلة بنيامين بن موسى عدد كبير من القرائين ، فعظمت مكانته ، وبلغ فى نفوس أتباعه منزلة تقرب من منزلة عنان بن داود المنشئ الأول لفرقة القرائين .

وأما فرقة الأكبرية فقد أنشأها عالمان يهوديان من مدينة «أكبر» بالقرب من بغداد ، حوالى سنة ٨٤٠م ، وهما موسى وإسماعيل الأكبريان . وأهم ما يمتاز به هذه الفرقة عن بقية فرق القرائين أنها لا تؤمن إلا بأسفار موسى الخمسة (أسفار التكوين والخروج والتثنية واللاوين والعدد) ولا تعترف ببقية أسفار العهد القديم . ومذهبها هذا يعد فى جملته إحياء المذهب السامرية الذى تكلمنا عليه فيما سبق (٢٣)

هذا ، وقد تفاقم الخلاف بين القرائين والربانيين ، وهما الفرقتان اليهوديتان الباقيتان إلى العهد الحاضر ، وشنت كلتا الطائفتين حربا عنيفة

(٢٢) انظر تفصيل هذه النظرية فى كتابنا «فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى» صفحات ٤٠ - ٤٢ الطبعة الثانية .

(٢٣) انظر ص ٩٥ .

على الطائفة الأخرى ، فحكمت كليهما على الأخرى بالكفر ، واستقلت كليهما بمعابد خاصة لا يسمح بدخولها لغير أتباعها .

ويروي لنا التاريخ كثيرا من الخصومات العنيفة التي حدثت بين هاتين الطائفتين في كثير من البلاد التي كان يوجد فيها أتباع لكليهما . ومن أشهر هذه الخصومات ما حدث بينهما في مصر أيام الملك الفاطمي الظاهر ابن الحاكم بأمر الله (تولى الخلافة الفاطمية من ٤١٢ - ٤٢٧ هـ ، ١٠٢٠ إلى ١٠٣٥ م) . وكان سبب هذه الخصومة أن المشرف اليهودي على قصابي اليهود كان من طائفة الربانيين . وللقرائين في شئون الذبائح مذهب يختلف عن مذهب الربانيين . فهم يحرمون ذبح أنثى الحيوان في أثناء حملها بينما يميز ذلك الربانيون ، وهم يحرمون أكل أجزاء خاصة من الحيوان يحلها الربانيون . فحدث من جراء ذلك احتكاكات عنيفة بين الطائفتين . وطلب القراءون أن يسمح لهم بحوانيت خاصة للحوم الأنعام والطيور تخضع لتفتيشهم هم ولا تخضع لتفتيش محتسب الربانيين ، وأن يسمح لهم بفتح حوانيتهم في أعياد الربانيين التي لا يعترفون هم بمواقبتها (فلكل فرقة تقويمها الخاص ، ومن ثم اختلفت مواقيت الأعياد عند كليهما) . وقد استجاب الخليفة الظاهر لمطالب القرائين ، وأصدر مرسوما في ١١ من جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ ١٠٢٤ ميلادية هذا نصه :

« من تتبع عاداتكم ، واستمراركم في تقاليدكم التي أخذتموها عن دياناتكم بدون عائق يقوم من طائفة ضد الأخرى أو قيام معاملة خشنة بينكما ، فهذا يدعو إلى السماح لكل طائفة بأن تعيش وتعبد كما تهوى ، مع

تمكين كل طائفة في بيع أو شراء ما تشتبهى ، وأن تحتفل بعيدها كما تريد ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق إرادتها . وأحذر الطائفتين من التدخل في شئون بعضهما أو إحداث شغب أو مضايقة بعضهما . إن الأمان مكفول لكم جميعاً . وعليكم عدم تمكن شرير بينكم من الإتيان بشئ ممنوع . وعليكم تجنب المناقشات التي تؤدي إلى سوء العاقبة . وعليكم المحافظة على ذلك . والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتى بأعمال محرمة . فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره حتى لا يحتذى أحد . كذلك يحرم التدخل في شئون طائفة القرائين في معابدهم الخاصة بهم وحدهم » .

« وهذا الأمر صادر من أمير المؤمنين . فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه . وعلى أمير الجيوش - ساعده الله - أن يساعد على تنفيذه ، وعلى رؤساء الأقاليم العناية العادلة بالطائفتين ، وعلى الحكام إصدار الأوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على أفراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم » .

« ليحترم هذا الأمر بواسطة الذين كتب لهم إن شاء الله » .

« حرر في يوم الأربعاء ١١ جمادى الأول عام ٤١٥ هجرية » .

* * *

ومن هذا يظهر مبلغ سماحة الإسلام وسماحة الحكومات الإسلامية في معاملة أهل الديانات الأخرى وتذليل الفرص لأتباعها في مزاوله عباداتهم وأداء شعائرتهم . وهذه أظهر سمة من سمات الكمال لديننا الإسلامى القويم .

القسم الثانى
تاريخ بنى إسرائيل
ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى

نظرة مجملة في تاريخ بني إسرائيل

هاجر يعقوب (الملقب بإسرائيل) حوالى القرن السابع عشر ق.م هو وأولاده وحفدته من بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) إلى مصر ، على أثر ما حاق بموطنهم القديم من مجاعة وما أصاب مراعيها من جفاف^(١) وكان عددهم سبعين نفساً بحسب ما تذكره أسفارهم^(٢) . وكان الوزير الأول بمصر هو يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب نفسه . فأكرم مثوى أبيه وإخوته ، وعطّف عليهم قلب فرعون ملك مصر حينئذ ، وأقطعهم بأمره أرضاً في أخصب البقاع^(٣) . وانقسم بنو إسرائيل في هذه الفترة اثنتى عشرة قبيلة تنحدر كل قبيلة منها من ولد من أولاد يعقوب الاثني عشر ، وهم الذين يعبر عنهم في القرآن بالأسباط . ومن هؤلاء قبيلة لاوى (أولبنى) التى عهد إليها فيما بعد بالإشراف على الشؤون الدينية ، وكان منها موسى وهارون ومريم البتول وعيسى .. وظلت سلالات بني إسرائيل في مصر حيناً من الدهر تنعم بكرم المصريين ورعايتهم وتقديرهم لجهودهم وكفayaياتهم ، حتى لقد وصل كثير منهم إلى أعلى الدرجات

(١) سفر التكوين ، اصحاح ٤٧ فقرة ٤ .

(٢) سفر التكوين ، اصحاح ٤٦ ، فقرة ٢٧ .

(٣) سفر التكوين ، اصحاح ٤٧ فقرة ١١ .

والمناصب^(٤) . ثم تغير موقف المصريين منهم فيما بعد إلى نقيض ما كان عليه ، لخشيهم من تكاثر عددهم الذى زاد على عدد المصريين أنفسهم ومن استفحال نفوذهم فى البلاد^(٥) ؛ فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم ، يسومونهم سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويتخذون منهم خدماً وعبداً ، ويسخرونهم فى أشق الأعمال^(٦) . وبقي بنو إسرائيل أمداً طويلاً يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ، وتنوشهم معاول الإيابة حتى أرسل الله إليهم وإلى فرعون وقومه رسولين إسرائيليين من نسل لاوى (لى Levi) أحد أبناء يعقوب ، هما موسى وأخوه هرون عليهما السلام ، يبلغانهم رسالة التوحيد ، ويدعوانهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان والكواكب والحيوان والنبات والملوك وأرواح الموتى ، ويقدمان لهم شريعة سماوية سمحة ، هى الديانة اليهودية ، تفصل ما ينبغى أن يكونوا عليه فى شئون دينهم وديانهم ، فآمن بها بنو إسرائيل ؛ وكذب بها فرعون وقومه إلا قليلاً منهم . وظل موسى وهرون وقومهما بنو إسرائيل بعد ذلك فى مشادات مع فرعون وقومه حتى أتيح لهم الخروج من مصر إلى صحراء سينا فى قصة مشهورة ذكرت وقائعها فى كثير من سور القرآن الكريم ، وتحدث عنها تفصيلاً « سفر الخروج » وهو أحد أسفار العهد القديم^(٧) . وقد قضى بنو

(٤) انظر فى هجرة يعقوب وأولاده الى مصر سورة يوسف من القرآن الكريم وسفر التكوين من اصحاح ٤٦ الى آخر السفر .

(٥) سفر الخروج ، الاصحاح الأول ، فقرة ٩ .

(٦) انظر فى ذلك القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٤٩ ، والاصحاح الاول من سفر الخروج .

(٧) انظر فى ذلك آيتى ٤٩ ، ٥٠ من سورة البقرة و ٧٧ - ٨٠ من سورة طه ، واصحاحى

١٣ ، ١٤ من سفر الخروج .

إسرائيل في مصر أربعائة وثلاثين سنة بحسب ما يذكره سفر الخروج (إصحاح ١٢ . فقرة ٤٠) . وكان إرسال موسى إليهم حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ق.م .

وقد استحال بنو إسرائيل في أثناء الفترة التالية لخروجهم من مصر حتى استقرارهم في أرض كنعان ، وتبلغ حوالى أربعين سنة ، إلى قبائل من البدو الرحل ، يضربون في صحراء سينا والمناطق المتاخمة لها ، متنقلين في أرجائها ، «تائهين» حسب تعبير القرآن الكريم في دروبها وفيافها^(٨) . وكان موسى قد طلب إليهم دخول أرض فلسطين وقتال أهلها ، ووعدهم بالنصر ، فتعاسوا عن ذلك جبنا وخورا ، فكتب الله عليهم هذا التيه ، حتى يفنى هذا الجيل الجبان ، وينشأ جيل آخر ربي على التخشن . وتمرس بشئون القتال^(٩) .

وفي أثناء هذه الفترة توفى هرون ثم موسى عليها السلام ، ولكن بعد أن أكمل الله لبنى إسرائيل دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، وبعد أن تلقى موسى من ربه التوراة «فيها هدى ونور» ، يحكم بها النبيون الذى أسلموا للذين هادوا والريانيون والأخبار بما است حفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء^(١٠) . وقد استوعبت جميع تفاصيل هذه الديانة عقائدها

(٨) انظر آية ٢٦ من سورة المائدة : « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » والضمير في « انها » يعود على أرض كنعان التى تعاسوا عن دخولها وقتال أهلها خوفا منهم .

(٩) انظر التصوير الرائع للحوار الذى جرى بين موسى وقومه اذ يستحثهم على دخول أرض فلسطين ، وهم يتعاسون عنها خوفا من أهلها في آيات ٢٠ - ٢٦ من سورة المائدة .

(١٠) آية ٤٤ من سورة المائدة : « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور . . . الآية » .

وشرائعها وأخلاقها وقصصها : « وكتبنا له (أى لموسى) فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ » (١١)

وحوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار بنو إسرائيل بقيادة يوشع Josue خليفة موسى بعد وفاته على بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) واحتلوها واستولوا على جميع ما فيها من خيرات وثروات ، بعد أن أبادوا معظم أهلها ، واستعبدوا من أبقوا عليه منهم . فانتهد بذلك لديهم حياة الحشونة والبداوة والتنقل ، وافتتحوا عهد الحضارة والدعة والاستقرار ، وسكنوا المدن والقرى والمنازل والقصور التى ورثوها من الكنعانيين . وأخذت مزاولتهم لشئون دينهم تسير على طريق منظم تحت إشراف أبحارهم وفقهائهم وسدنة مساجدهم ومذابجهم ؛ وكان معظم هؤلاء يتألفون من نسل لاوى أحد أبناء يعقوب ، وهم رهط موسى وهارون (١٢) . وأما رؤساؤهم السياسيون فكانوا فى صدر هذه المدة من القضاة (١٣) ، ثم لما اتسع نفوذ بنى إسرائيل أصبح رؤساؤهم السياسيون

(١١) آية ١٤٥ من سورة الأعراف .

(١٢) انظر سفر اللاويين من أسفار العهد القديم .

(١٣) انظر سفر القضاة من أسفار العهد القديم . وكان آخر قضاتهم صموئيل . وهو الذى عين طالوت Saulي من الله ملكا على بنى إسرائيل (حوالى القرن الحادى عشر ق.م) ليتولى قيادتهم ضد الفينيقيين ، وقد كتب لهم النصر عليهم ، وكان ذلك بفضل داود الذى قتل جالوت Goliath طاغية الفينيقيين . وقد تولى داود الملك بعد طالوت (١٠٠٠ - ٩٧٤ ق.م) ، ثم تولى سليمان الملك بعد أبيه داود (٩٧٤ - ٩٣٤ ق.م) وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة فى آيات ٢٤٦ - ٢٥١ من سورة البقرة .

ملوكا ذوى سلطان كبير^(١٤) ، ومنهم داود وسليمان عليهما السلام^(١٥) .
وانقسمت مملكتهم بعد وفاة سليمان إلى مملكتين : مملكة إسرائيل ؛ ومملكه
يهوذا Judah ، ونشبت بين المملكتين حروب أهلية كثيرة .

وفى سنتى ٥٩٦ ، ٥٨٧ قبل الميلاد أغار بختنصر Nabuchodonosor
ملك بابل على فلسطين ، فأزال ملك بني إسرائيل ، وأسر منهم عدداً كبيراً
وأجلاهم إلى بابل (ومن ثم اشتهر ذلك فى التاريخ باسم نبي بابل) حيث
ظلوا فى الأسر زهاء خمسين سنة حتى تغلب كورش Curus ملك الفرس
على البابليين عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، فأطلق سراح اليهود ، ورجع كثير منهم
إلى فلسطين ، واستعادوا بعض أوضاع حياتهم الأولى . ولكنهم فقدوا
استقلالهم ، ولم ينعموا به بعد ذلك إلا فترات قصيرة . فوقعوا أولاً تحت
سيطرة الفرس ، وظلوا كذلك زهاء قرنين كاملين . ثم وقعوا تحت سيطرة
المقدونيين خلفاء الاسكندر الأكبر ، ثم تحت سيطرة الرومان .

وفى سنة ١٣٥ بعد الميلاد أخذ الرومان ، فى عهد الإمبراطور
هادريان Hadrien ثورة قام بها اليهود فى فلسطين (من سنة ١٣٠ إلى سنة
١٣٥ بعد الميلاد) ، واستخدموا فى إخمادها أعنف وسائل البطش ،
فدمروا بلادهم ، وهدموا هيكلهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا
مشتتين هائمين على وجوههم فى مختلف بقاع الأرض حتى يومنا هذا .

(١٤) انظر سفرى الملوك من العهد القديم .

(١٥) انظر آيات ٢٤٦ - ٢٥١ من سورة البقرة ، وآيات ١٥ - ٤٤ من سورة النحل ،

وآيات ١٧ - ٤٠ من سورة ص .

« وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » (١٦) . وذلك على الرغم من إنشاء دولتهم المزعومة ومن هجرة شرذمة من أفاقيهم إلى بلادها (١٧)

وإلى إجلاء بنى إسرائيل من بلادهم فى هاتين المرتين يشير القرآن الكريم إذ يقول : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاجسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة (أى وعد المرة

(١٦) آية ٦١ من سورة البقرة .

(١٧) لم ينفك الرومان ، منذ استيلائهم على فلسطين ، يسومون اليهود سوء العذاب . فحينما حطمت القوات الرومانية معابدهم فى فلسطين سجنوهم أسرى فى شوارع روما يدفع شبانهم العربات ، ويحملون الأحجار ، ويتساقطون فى الطرقات ، ويعطونهم الرماح والسيوف يتقاتلون بها ويقتل بعضهم بعضا لتنعيم القوات الرومانية بهذه المناظر ، ويطلقون عليهم الوحوش ، ويأتون بكبارهم من المحاريين ومن رجال الدين ويلقون الأحجار فى أعناقهم ثم يلقون بهم فى الآبار ويدفنونهم أحياء .

وحينما هدم الرومان معبد سليمان فى القدس حملوا أخشاب المعبد ومناضده الذهبية وصفحات من التوراة وحملوا اليهود إلى روما مرة أخرى وأحرقوهم فى الزيت المغلى .
وفى سنة ٦٧م أرسل الامبراطور نيرون Neron قائده فاسبازيان إلى القدس فقتل من اليهود الآفا حرقا وصلبا ، وساعده على ذلك ودله على مخائى اليهود واحد منهم هو المؤرخ اليهودى الشهير يوسيفوس (فيلافيوس يوسيفوس المولود سنة ٣٧ ميلاديه والمتوفى سنة ٩٥) . ولما مات الامبرطور نيرون وأصبح القائد فاسبازيان امبرطورا أرسل ابنه يتيوس إلى القدس وأوصاه ألا يبقى على أحد من اليهود . ولما تحصن اليهود فى قلعة ماسادا هدمها عليهم ، (انظر فى ذلك مقالا ظريفا لأليس منصور فى عدد ١٣ ١١ ٧٣ من جريدة «أخبار اليوم» .

الآخرة وهو الجلاء الثانى) ليسئوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتييرا « (١٨) .

وقد تنكب بنوا إسرائيل الصراط المستقيم ، وخرجوا على تعاليم دينهم وعقائده فى عهد موسى نفسه ومن بعده ، حتى لقد عبدوا العجل وهرون بين ظهرانيهم وموسى يتلقى الألواح من ربه كما تقدم بيان ذلك (١٩) .

وبعث الله فيهم من بعد موسى وهرون عدة رسل وأنبياء يهدونهم سواء السبيل ، ويحاولون إنقاذهم مما تردوا فيه من كفر وضلال ، فما كانوا يلاقون منهم إلا الإعراض والتكذيب ، بل كانوا يلاقون منهم أحيانا التعذيب والتقتيل .

وفى هذا يخاطبهم القرآن الكريم إذ يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (٢٠) » ، ويقول « ... ضريت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ؛ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٢١) » .

ويقول مبينا تكذيبهم للقرآن الكريم ولأسفارهم نفسها وتمردهم على

(١٨) آيات ٢ - ٥ من سورة الإسراء .

(١٩) انظر الفصل الأول من الباب الثانى .

(٢٠) آية ٨٧ من سورة البقرة .

(٢١) آية ٦١ من سورة البقرة .

موسى والأنبياء من بعده : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟ ! ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ؛خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ؛ قالوا سمعنا وعصينا ؛ وأשרوا في قلوبهم العجل بكفرهم ؛ قل بشما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين^(٢٢) » ويقول مبينا ما انتهت إليه أوضاعهم نتيجة عصيانهم وكفرهم بآيات الله ونعمة : « ... وضرت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »^(٢٣) .

(٢٢) آيات ٩١ - ٩٣ من سورة البقرة .

(٢٣) آية ٦١ من سورة البقرة .

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبنى إسرائيل في مصر

ليست لدينا مصادر يعتد بها عن تاريخهم في هذه المرحلة السحيقة التي يرجع الباحثون أنها كانت سابقة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، إلا ما ورد بشأنها في الكتب المقدسة . وهذه الكتب لا تذكر شيئاً مفصلاً عن أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، وإن كان يستخلص مما أجملته في هذا الصدد أنهم كانوا في هذا كله خاضعين لما تقرره شريعة البلاد ؛ وأنه لم يكن لهم نظام مستقل متميز عن النظام العام في شئون الاجتماع ، وأنه كانت لهم ملكيات كثيرة هامة في المرحلة الأولى من مقامهم في مصر ، بدليل ما يحدثنا عنه سفر التكوين من أن يوسف قد أعطى أباه وإخوته بأمر فرعون ملكاً في أحسن منطقة في البلاد ونى منطقة رمسيس (٢٤) ، وأنهم لم يحرموا قط من حق الملكية حتى في مرحلة اضطهادهم نفسها ، بدليل ما يحدثنا عنه العهد القديم من أنهم قد حملوا معهم وساقوا أمامهم عند خروجهم من مصر ما كانوا يملكونه من متاع وأنعام ، وأن أنعامهم هذه كان يتألف منها حينئذ قطعان ضخمة غزيرة العدد من الأغنام

(٢٤) فقرة ١١ من اصحاح ٤٧ من سفر التكوين .

والأبقار^(٢٥) ، هذا إلى ما حملوه معهم مما أهداه إليهم المصريون من الأقمشة والملابس وأواني الذهب والفضة^(٢٦) ، وأن المهنة التي كان يزاوها دهماؤهم كانت مهنة الرعى ، وهى المهنة نفسها التي كان يزاوها يعقوب وبنوه قبل هجرتهم إلى مصر^(٢٧) ، وأن أهم مظاهر ثروتهم كانت تتمثل إذن فى الأنعام ؛ وأن ثرواتهم جميعها كانت ثروات عائلية لا فردية ؛ فالأسرة لا أفرادها هى التي كانت تملك ما تنسب إليها ملكيته من أنعام ومتاع .

(٢٥) فقرتى ٣٢ ، ٣٨ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٢٦) فقرتى ٣٥ ، ٣٦ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٢٧) فقرة ٣١ وما بعدها إلى آخر فقرات الاصحاح ٤٦ ، وفقرات ١ - ٥ من اصحاح ٤٧ من سفر التكوين .

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل استقرارهم في أرض كنعان

كانت المهنة السائدة لديهم في أثناء هذه المرحلة هي مهنة الرعى ، كما كان شأن آبائهم الأولين قبل هجرتهم إلى مصر^(٢٨) ، بل كما كان شأن معظمهم في أثناء مقامهم بمصر كما سبق بيان ذلك . فأهم مظاهر ثروتهم كانت تبدو إذن في أمرين : أحدهما قطعان الأنعام ؛ وثانيهما ما يلزم لتربيته من مراعى ومياه .

١ - أما الأنعام فكانت عماد الحياة لبني إسرائيل في هذا العهد : فمن لحومها وألبانها كانوا يتخذون غذاءهم ؛ ومن أصوافها وأشعارها وجلودها كانوا يتخذون ملابسهم وأثاثهم ومسكنهم نفسها ؛ فقد كانت بيوتهم في هذا العهد خياما من الشعر . ولذلك كان يتمثل في الأنعام حينئذ أهم مظاهر الثروة لديهم ، حتى إن أسفار العهد القديم لتقيس مبلغ الغنى بما يمتلك من رهوس الأنعام ، وحتى إن المنازعات بين الناس كانت تدور

(٢٨) فقرات ٣٢ - ٣٤ من اصحاح ٤٦ وفقرات ١ - ٣ من اصحاح ٤٧ من سفر التكوين .

حول ملكية الأغنام والأبقار ، وتنبعث عن جشع كثير من الخلطاء وجنوحهم للبغي على خلطاتهم فيما يملكونه من هذه الأنواع . ففي سفر صموئيل أن نابال Nabal كان رجلا واسع الثراء ، لأنه كان يملك ثلاثة آلاف نعجة وألف شاة^(٢٩) . ويعطينا القرآن الكريم مثالا للمنازعات التي كان يكثر حدوثها بين بني إسرائيل ويرفع أمرها إلى ملوكهم أنفسهم في قصة الخصم « إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا تخف : خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ؛ وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ؛ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم »^(٣٠) .

وبدل ما ورد فى العهد القديم عن خروج بنى إسرائيل من مصر أن أكبر أمنية لهم فى أواخر مقامهم فى هذه البلاد أن يمكنوا من الخروج منها مع ما كانوا يملكونه من أغنام وأبقار ، وأن فرعون عندما سمح لهم بالخروج كانت

(٢٩) فقرة ٢ من اصحاح ٢٥ من السفر الأول لصموئيل - ونابال هذا كان فى عهد لاحق بمدة طويلة للمرحلة التى نتحدث عنها . ولكننا نجد فى هذه الفقرة وما شاكلها شاهدا على مكانة الأنعام ودالتها على الثراء لديهم فى مختلف العهود .

(٣٠) آيات ٢١ - ٢٥ من سورة ص . وقد عرضنا لهذه القصة بالتفصيل عند كلامنا على القصص فى أسفار اليهود (انظر صفحات ٧١ - ٧٣) .

أول عبارة له تتضمن سماحه لهم بأن يسوقوا معهم أنعامهم^(٣١) ، وأنهم خرجوا مزودين بثروات عظيمة تتمثل في قطعان كبيرة العدد من الأنعام^(٣٢)

ويبدو من عدة شواهد تاريخية أن ملكية الأنعام لديهم في هذا العهد لم تكن ملكية جمعية واسعة النطاق ، أى تملكها القبيلة كلها ، ولا ملكية فردية خاصة أى يملكها الأفراد ، وإنما كانت وسطا بين المنزلتين ، فكانت ملكية أسرية ، أى إن كل أسرة كانت لها ملكيتها من الأنعام^(٣٣) .

وهذا ضرب من الملكيات الجمعية ، ولكنها ملكية جمعية ضيقة النطاق . فالأسرة الإسرائيلية كانت أضيق خلية جمعية بعد القبيلة والعشيرة ، لأنها كانت محدودة النطاق في عدد أفرادها لا تنتظم إلا الأب وزوجاته وأبناءه وأبنائه وبناته وبناته وبناته مادمين في منزل الأسرة ، أى قبل زواجهن وانتقلهن إلى منازل أزواجهن حيث كن ينتمين إلى أسرته هؤلاء . فالشخص الاعتباري الذي يتألف من هؤلاء الأعضاء هو الذي كان يعتبر مالكا للأنعام في نظر بني إسرائيل^(٣٤) .

(٣١) فقرة ٣٢ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٣٢) فقرة ٣٨ من اصحاح ١٢ من سفر الخروج .

(٣٣) انظر سفر الخروج والعدد .

(٣٤) انظر في نطاق الأسرة الانسانية وتطورها عبر التاريخ كتابنا في « الأسرة والمجتمع » صفحات ٦ - ١٦ من الطبعة السادسة .

٢ - وأما أراضي المراعى وآبار المياه فيظهر أن ملكيتها كانت جماعية واسعة النطاق ، أى إن كل قبيلة كان لها من هذه الأراضي وهذه الآبار قسم معلوم تنتفع به فى صورة شائعة عشائرها وأسراتها فى تربية أنعامها . (٣٥)

وذلك أن القبيلة كانت تتألف عادة من عدة عشائر ، والعشيرة كانت تتظم عدة أسرات (٣٦) .

وكان لهذا النوع من الملكية أهمية لا تقل عن أهمية النوع الأول إن لم تزد عنها .

فعلى المراعى وآبار المياه كانت تتوقف حياة أنعامهم بل حياتهم هم أنفسهم .

ولذلك يزخر تاريخ هذا العهد بالحوادث المتصلة باكتشاف الينابيع وشق الآبار والمنازعات العنيفة التى كانت تنشب بين القبائل من جرّاء

Adolf Lods: Israel... etc., PP. 232-233: Challay: (٣٥)
Histoire de la Propriété, PP. 38, 39 .

(٣٦) ويظهر انه فى هذا العصر كان هناك عند بعض الشعوب المتصلة ببني اسرائيل ، إن لم يكن عند بني اسرائيل أنفسهم ، أبار عامة مباح الاستقاء منها لجميع الناس ، كما يستفاد من قصة القرآن الكريم لماء مدين واستقاء الناس منه وورود موسى له ومساعدته المرأتين فى سقى انعامهما : « ولما ورد ماء مدين » والضمير يعود على موسى « وجد عليه أمة من الناس يسقون . ووجد من دونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير . . » . (آبى ٢٣ ، ٢٤ من سورة القصص) .

اختلافهم على أراضى المراعى والمياه ، ومعاهدات الصلح التى كانت تبرم بينهم لتسوية هذه المنازعات (٣٧) .

* * *

غير أن ملكياتهم فى هذه المرحلة فى المراعى والآبار لم تكن ثابتة ولا دائمة فقد كانت المراعى عرضة للجفاف والآبار عرضة للنضوب . ومن ثم كانت القبيلة تنتقل فى داخل أملاكها من منطقة إلى منطقة حتى إذا لم تجد فى أملاكها جميعها ما يقيم أودها وأود أنعامها اضطرت إلى مغادرة أوطانها فى هجرة طويلة باحثة عن مراع وآبار جديدة تضع يدها عليها إن لم يكن قد سبق امتلاكها أو تنتزعها أحيانا بالقوة من ملاكها الأولين - وكان من الممكن بين عشية وضحاها أن يصبح الفقير غنيا واسع الثراء والغنى فقيرا مدقع الفقر . فقد تعرض قبيلة أو عشيرة أو أسرة لغارة مفاجئة من أعدائها فتفقد جميع ما كانت تملكه من أرض وماشية ومتاع ؛ وقد يوافق الحظ قبيلة فقيرة أو عشيرة فقيرة فى غارة تشنها على معشر آخر غنى فتستولى على جميع ما كان يملكه .

وهذه المعارك والغارات كانت كثيرة الحدوث بين بنى إسرائيل وغيرهم من العشائر والشعوب التى كانت تسكن هذه المناطق معهم أو تجاورهم ، بل لقد كانت تحدث أحيانا بين عشائر وأسرار بنى إسرائيل نفسها بعضها مع بعض .

(٣٧) انظر أوائل هذه الفقرة .

هذا ، ولم تكن الفروق كبيرة في هذا العهد بين ثروات القبائل ولا بين ثروات الأسرات ولا بين ثروات الأفراد . ولم يكن للثروة حينئذ سلطانها ولا آثارها الخطيرة التي تبدو في أممنا . فجميع الناس كانوا سواسية تقريبا في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم وسائر شئونهم ، والحياة في جملتها كانت خشنة ساذجة لا أثر فيها للترف ولا للنعيم ، والمحافظة على واجبات الضيافة والنجدة والإحسان وما إلى ذلك من الصفات التي كانت من أبرز مميزات الشعوب السامية جميعا ، وخاصة في عهودها الأولى ، كانت تعمل من جانبها كذلك على تقليل الفروق بين الطبقات والأفراد .

الاحوال الاجتماعية والاقتصادية لبنى إسرائيل

بعد استقرارهم فى أرض كنعان

ولكن الحال قد تغير تغيرا كبيرا حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، إذ أثار بنو إسرائيل بقيادة يوشع Josue خليفة موسى بعد وفاته على بلاد كنعان واحتلوها واستولوا على جميع ما كان فيها من خيرات وثروات ، بعد أن أبادوا معظم أهلها واستبعدوا من أبقوا عليه منهم ، تنفيذا لوصايا توراتهم إذ تقول : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فجميع أفراد شعبها يكون مسخرين ومستعبدين لك ، وإن لم تسالمك فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فتغنمها لنفسك (٣٨) .

فانتهت لديهم بذلك حياة الخشونة والبداءة والتنقل ، وافتتحوا عهد الدعة والحضارة والاستقرار ، وسكنوا المدن والقرى والمنازل والقصور التى ورثوها عن الكنعانيين ، وصدف معظمهم عن مهنة الرعى أو أصبحت

(٣٨) فقرئ ١٣ ، ١٤ من الاصحاح العشرين من سفر التثنية .

لديهم فى المكان الثانى ، واتجهوا إلى زراعة المحاصيل وبساتين الفاكهة ،
وتعقدت حياتهم ودقت أساليبها وتعددت أنواع الملكية لديهم فشملت
الأراضى والرقيق والأنعام والمنقولات والنقود ، وأصبح لكل نوع من هذه
الأنواع نظمه وقوانينه وآثاره الخطيرة فى الحياة ، كما يظهر ذلك فيما يلى :

ملكية الأراضي عند بني إسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان

ومن أهم أنواع الملكية لديهم في هذا العهد وأكبرها قيمة ملكية الأرض . فقد ورث بنو إسرائيل عن الكنعانيين أراضي خصبة تفيض بالخيرات والنعيم ، قد بذل أهلها من قبلهم جهودا جبارة في تهيتها لمختلف أنواع الزراعة ، وتنمية قدرتها على الإنتاج ، وتوفير ما تحتاج إليه من وسائل الري والصرف واستنباط النباتات وشق القنوات والترع والآبار ، ولم يغادروا فيها رقعة إلا استغلوها في زراعة المحاصيل وبساتين الكروم والزيتون وسائر أنواع الفاكهة ، حتى أطراف الصحارى وقم الجبال . فكم ترك الكنعانيون لبني إسرائيل « من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين » (٣٩) .

وقد قسمت هذه الأرض في مبدأ الأمر على قبائل بني إسرائيل ، فخص كل قبيلة منها قسم يتناسب مع عدد أفرادها بالقياس إلى أخواتها ، وكان ذلك وفقا لما أوحى به الإله إلى موسى إذ أمره أن يبلغ بني إسرائيل بأن يقسموا بين قبائلهم الأرض التي سيفيء الله عليهم بها في بلاد كنعان

(٣٩) آيات ٢٥ - ٢٧ من سورة الدخان ، وهي خاصة بما تركه فرعون وقومه بعد غرقهم ، ونسحق كذلك على ما تركه الكنعانيون لبني إسرائيل .

بعد أن يكتب لهم النصر على أهلها ، « حسب عدد كل قبيلة منهم :
فلقبائل الكثيرة العدد مساحة كبيرة ؛ وللقبائل القليلة العدد مساحة
صغيرة » (٤٠) .

وتختص قبيلة اللاويين . زيادة عما يؤول إليها وفق القاعدة السابقة -
بوصفها القبيلة المختارة المصطفاة الحارسة للشرعية القوامة على شعائر الدين
والمشرفة على المذابح المقدسة وما يقدم للإله من أضحية وقرايين - بثمان
وأربعين مدينة . منها ست مدن تعتبر حرما آمنا وملجأ لمرتكبي جريمة القتل
لا يمسون فيها بسوء إذا لجئوا إليها ، وبمساحات كبيرة حول كل مدينة من
هذه المدن الثمانية والأربعين يستخدمها اللاويون وحدهم في مرافقهم
ورعى أنعامهم وما إلى ذلك (٤١) .

والقبائل الأخرى نفسها كان يختلف بعضها عن بعض في هذا الصدد
اختلافا غير يسير . فقد استخدمت القرعة (٤٢) في التقسيم . فخضعت
أنصبة القبائل من بعض الوجوه لعامل غير مضبوط هذا إلى أن القاعدة

(٤٠) فقرات ٥٢ - ٥٤ من إصحاح ٢٦ من سفر العدد .

(٤١) فقرات ١ - ٨ من إصحاح ٣٥ من سفر العدد . وقد قدر هذا السفر المساحة التابعة
لكل مدينة بقطعة طولها ألف قدم من كل جهة من الجهات الأربع المحيطة بالمدينة . هذا إلى
النضائب الباهظة التي أوجبت الشريعة اليهودية على سائر بني إسرائيل أن يقدموها إلى اللاويين من
ثمرات أرضهم ونتاج أنعامهم وما إلى ذلك من الأمور التي سنعرض لها في مواطنها .

(٤٢) فقرة ٥٥ من إصحاح ٢٦ من سفر العدد .

التي جرت عليها القسمة تميز بين القبائل في مبدأ الأمر وفي مستقبله . فقد منحت كل قبيلة مساحة من الأرض تتناسب مع عدد أفرادها بالقياس إلى القبائل الأخرى حسب ما كانت عليه في الوقت الذي أجرى فيه هذا التقسيم . فاختلفت بذلك حظوظ القبائل في المبدأ ، وأصبح لكل قبيلة منها قدر من الأرض مفروض أنها لا تتجاوزه مهما زاد عدد أفرادها في المستقبل أو تغيرت نسبتهم إلى غيرهم عما كانت عليه أو اختلفت مقتضيات حياتهم ومطالبها ، وبذلك وضع هذا التقسيم البذور الأولى للاختلاف في الثروات والفوارق بين الطبقات .

وكانت ملكية الأرض في مبدأ الأمر ملكية جماعية ، فالقبيلة نفسها هي التي كانت تملك تصيها وتقسمه بين أسراتها كما تقسم الأعمال بين أفرادها وفق ما تصطلح عليه من نظم وقواعد ، ولكنها لم تلبث أن استحالت إلى ملكيات أسرته ، ثم انتهى الأمر بأن أصبحت ملكية الأراضي لدى بني إسرائيل فردية خالصة تنتقل بطريق الميراث العادي وتقسم بين أولاد المتوفى الذكور وحدهم لأكبرهم مثل حظ اثنين منهم ، وفي حالة عدم وجود أولاد ذكور توزع تركة المتوفى على بناته غير المتزوجات ، وفي هذه الحالة لا يصح لمن أن يتزوجن من خارج القبيلة حتى لا تخرج الثروة إلى قبيلة أخرى (٤٣) ، بل لا يصح لمن أن يتزوجن إلا

(٤٣) فقرات ٦ ٩ من اصحاح ٣٦ من سفر العدد .

من أقرب فرع في عشيرة أيهن^(٤٤) - وعلى هذه القاعدة كان يسير الميراث في جميع ما يتركه المتوفى من منقول وعقار^(٤٥).

وقد حثت أسفار العهد القديم بني إسرائيل على استغلال الأراضي ، وحببت إليهم ذلك ، وراعت ما جبلوا عليه من جنوح للكسل وعزوف عن العمل وبذل المجهود ، فأغرتهم على الزراعة بمغريات كثيرة ، منها أنها قررت أن يعفى من الخدمة العسكرية كل من زرع كرما حتى يؤتى الكرم ثماره ، أى مدة خمس سنوات، وهى المدة التى تنقضى عادة على زراعة الكروم حتى يتحقق أول نتاج لها^(٤٦).

غير أن الشريعة الموسوية قد قيدت المالك فى استغلال أرضه بعدة قيود ، كما فرضت عليه عدة واجبات . فمن ذلك أنه كان يجب عليه أن يرفق بعامل الأرض وأن يدفع له أجره قبل أن تغرب الشمس من كل يوم يعمل فيه^(٤٧) ، وأن يريحه ويريح دوابه نفسها من العمل فى اليوم السابع من كل أسبوع ، أى فى يوم السبت اليهودى الذى لا يجوز لإنسان ولا

(٤٤) انظر فى موضوع الميراث عند اليهود :

Letourneau : 1 Evolution de la Propriété, PP. 277, 282 :

(٤٥) خالف هذه القواعد فيما بعد طائفة القرائين من اليهود ، وهى التى نشأت فى القرن الثامن

بعد الميلاد ، كما سبق بيان ذلك (انظر ص ١٠٠) .

(٤٦) انظر آخر ص ٢٧٥ من كتاب . Letourneau المين فى تعليق ٤٤ .

(٤٧) فقرتى ١٤ ، ١٥ من اصحاح ٢٤ من سفر التثنية وفقرة ١٣ من اصحاح ١٩ من سفر

اللاويين .

لحيوان أن يباشر فيه عملاً^(٤٨) . ومن ذلك أنه كان يجب عليه أن يريح الأرض نفسها ، أى يتركها بوراً ، سنة كاملة كل سبع سنين ؛ وكل ما كان يظهر فيها من نبات من تلقاء نفسه فى هذه السنة السابعة كان يجب تركه للفقراء . فإن فضل منه شئ عن حاجتهم ترك للسائمة من الأنعام^(٤٩) ؛ وتسرى هذه القاعدة على بساتين الكروم والزيتون وسائر أنواع الفاكهة^(٥٠) . ومن ذلك أنه كان يجب عليه حينما يحصد حقله أن يترك ناحية منه بدون حصاد وألا يجمع ما تساقط منه فى أثناء الحصاد من سنابل وحبوب ، وأن يفعل مثل ذلك حينما يقطف ثمار كرومه وبساتينه ، حتى يتخلف بعض محصول الحبوب والفواكه للفقراء وأبناء السبيل^(٥١) ، ومن ذلك أنه كان يجب عليه أن يقدم للاويين زكاة أرضه وهى العشر من كل ما تخرجه الأرض من غلة أيا كان نوعها ، كما كان يجب عليه أن يقدم لهم ثمار سنة كاملة كل أربع سنين من نتاج بساتينه من الفواكه^(٥٢) .

وكانت وسائل إنتقال ملكية الأرض بإرادة المالك مقيدة كذلك بعدة قيود . فقد حظرت الشريعة اليهودية فى مراحلها الأولى على المالك أن يوصى

(٤٨) فقرات ٨ - ١١ من اصحاح ٢٠ من سفر الخروج .

(٤٩) فقرتى ١٠ ، ١١ من اصحاح ٢٣ من سفر الخروج ، وفقرتى ٤ - ٧ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين .

(٥٠) فقرة ١١ من اصحاح ٢٣ من سفر الخروج .

(٥١) فقرتى ٩ ، ١٠ من اصحاح ١٩ من سفر اللاويين .

(٥٢) فقرة ٢٤ من اصحاح ١٩ من اللاويين .

انظر كذلك . Letournau : OP . cit . , P . 278 .

لأحد بشيء من ملكه بعد وفاته . ثم أجازت الوصية بعد ذلك ، ولكن في حدود ضيقة كل الضيق . فقد اشترطت قوانين التلمود لجوازها ألا يكون للموصى ورثة معروفون^(٥٣) . وهذه القاعدة نفسها كانت مطبقة في جميع أنواع الملكيات لا في الأرض وحدها . وأما انتقال الأرض بطريق البيع فما كان يجوز إلا بقيود كثيرة . وانتقال ملكية الأرض بطريق من هذه الطرق كان على كل حال انتقالا موقوتا ينتهى بعد أجل معلوم . وذلك أنه عند حلول « البوبيل » الاسرائيلي الذي يتكرر كل خمسين عاما ، توجب الشريعة اليهودية أن تعود جميع الأراضي إلى ملاكها الأولين^(٥٤) ، حتى ترجع شئون الملكية الزراعية إلى الأوضاع التي شرعها الله إذ قسم الأرض على قبائل بني إسرائيل عقب احتلالهم لبلاد كنعان . ولكن يظهر من شواهد كثيرة أن هذا القانون لم يراع تطبيقه مراعاة كاملة في العهود الأولى وأنه قد أغفل تطبيقه كل الإغفال في العهود الأخيرة وأنه في جملته كان مجرد أمنية تتردد في نفوس بني إسرائيل ومشرعيهم أن تظل ملكية الأراضي محافظة في صورة ما على أوضاعها الأولى^(٥٥) .

Ibid ., PP . 277 , 278 . (٥٣)

(٥٤) فقرة ١٣ . وتوابعها من اصحاح ٢٥ وفترة ٢٤ من اصحاح ٢٧ من سفر اللاويين .

(٥٥) هذا هو رأى أدولف لودز من أشهر المؤرخين عن اسرائيل .

A . Lods : Israël... etc ., cité par Challay : Histoire de la propriété, P . 41 .

ملكية الرقيق عند بنى إسرائيل بعد استقرارهم فى أرض كنعان

كان نظام الرق معروفا ومعمولا به لدى العبريين منذ أقدم عهودهم . فسفر التكوين يحدثنا عن رقيق من الذكور والإناث فى منازل آبائهم الأولين أنفسهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب (٥٦) . غير أن هذا النظام لم يعم انتشاره لديهم ، ولم تصبح الملكية الرقيق أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية وفى شئون المال والاقتصاد ، ولم توضع لها قواعد مضبوطة دقيقة ، إلا فى العهد الذى نحن بصدد الكلام عنه .

ومعنى الرق أن يصبح إنسان مملوكا لجماعة أو لفرد معين فيجرد من معظم الحقوق المدنية وحقوق الإنسان التى ينعم بها الحر ، ويعامل من كثير من الوجوه معاملة السلعة المملوكة ، مع بعض فوارق تقتضيها طبيعة الإنسان واختلاف مقوماتها اختلافا جوهريا عما عداها من الملكيات المتعلقة بالجماد والحيوان .

وكانت مصادر الرق عند الإسرائيليين فى هذا العصر كثيرة متشعبة ولكن أهمها كان يرجع إلى ستة مصادر .

(٥٦) فقرة ١٤ من اصحاح ١٤ ، وفقرة ٥ من اصحاح ٢٥ ، وفقرة ١٤ من اصحاح ٢٦ من

سفر التكوين .

١ - وأهم هذه المصادر كانت الحرب التي تنشب بين الإسرائيليين وغيرهم أو بين قبائلهم وممالكهم بعضها مع بعض . أما النوع الأول من الحروب ، وهى الحروب الخارجية التى تنشب بينهم وبين غيرهم ، وخاصة الحروب التى شنوها على الكنعانيين ، فقد أمدتهم بمعظم ما كانوا يملكون من رقيق . وذلك أنهم كانوا بعد انتصارهم على بلد ما يضربون الرق على جميع أهلها من النساء والأطفال . أما الرجال فقد أمرتهم كتبهم المقدسة « أن يضربوا رقابهم بحد السيف » وألا يبقوا على أحد منهم ^(٥٧) . وقد حافظوا على هذه الوصايا فى عهودهم الأولى . ولكن يبدو أنهم فيما بعد كانوا يؤثرون الإبقاء على الرجال واسترقاقهم ^(٥٨) . وأما حروبهم بعضهم مع بعضى فقد حرمت عليهم كتبهم المقدسة استرقاق من يؤسرون فيها أو من يغلبون من بنى إسرائيل . ولكن يبدو من شواهد تاريخية كثيرة أنهم كانوا يخالفون هذه الوصايا ويعاملون الإسرائيلى أسير الحرب الداخلية معاملة الأسير غير الإسرائيلى فيضربون الرق عليه ^(٥٩) .

٢ - ومع أن كتبهم المقدسة كانت تحظر عليهم حظراً باتاً خطف إنسان حر فى غير حرب والاستيلاء عليه قسراً واسترقاقه أو بيعه ، بل كانت توجب أن توقع عقوبة الإعدام على مرتكب هذا الجرم ^(٦٠) ، فإنه يظهر

(٥٧) فترقى ١٣ ، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

(٥٨) انظر كتابنا بالفرنسية : نظرية اجتماعية فى الرق صفحتى ٤١ ، ٤٢ .

Ali Abdel Wahed : Contribution à une théorie Sociologique de l'Esclavage, PP . 41 , 42 .

(٥٩) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٦٠) فقرة ١٦ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج .

من عدة شواهد تاريخية أن الخطف والاستيلاء على الناس بالقوة كانا في الواقع العمل مصدرين هامين من مصادر الرق لدى بني إسرائيل ، وأن ذلك كان معمولاً به حتى في أقدم عهودهم ، بدليل ما تذكره التوراة ويذكره القرآن عن استيلاء إخوة يوسف عليه ويبيعهم إياه بثمان بنحس بيع الرقيق (٦١) .

٣ - وكان من مصادر الرق لديهم كذلك العقوبات التي كانت توقع أحياناً على السارق وعلى المدين العاجز عن دفع دينه .

فالشريعة اليهودية تقضى بالرق على السارق الذي لا يستطيع دفع التعويض المالى الذى يحكم به عليه لصالح المسروق منه ، فتوجب بيعه ببيع الرقيق واستيفاء هذا التعويض من ثمنه . وفى هذا يقول سفر الخروج : « إذا سرق رجل ثوراً أو حَمَلاً أو ذَبْحه أو باعه وجب عليه أن يرد لصاحب الثور خمسة ثيران ولصاحب الحمل أربعة حملان . . . وإن كان ماسرقه لا يزال حياً فى يده ، سواء أكان ثوراً أم حماراً أم حملاً ، فإنه يرد ضعفه لصاحبه . فإن لم يكن لديه ما يكفى للسداد وجب بيعه هو نفسه واستيفاء التعويض من ثمنه (٦٢) » .

ومع أن أسفار العهد القديم لا تبيح استرقاق المدين الذى يعجز عن دفع دينه فى الأجل المضروب ، فإن العمل قد جرى لدى بني إسرائيل فى مختلف عهودهم على استرقاقه ، فكان يصبح عبداً للدائن ، أو يباع ببيع

(٦١) القرآن الكريم آية ٢٠ من سورة يوسف ، وفقرات ٢٦ - ٢٩ من اصحاح ٣٧ من سفر التكوين .

(٦٢) فقرات ١ - ٥ من اصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

الرفيق لغيره ويستوفى الدين من ثمنه . بل لقد جرى العمل في بعض عهودهم على أن يسترق مع المدين نفسه أولاده وزوجاته . ويبدو من استقراء أسفارهم التاريخية أن العجز عن الوفاء بالدين قد قذف في نطاق الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس (٦٣) .

٤ - وكان من مصادر الرق لديهم كذلك سلطة الوالد على أولاده . فقد أجاز العهد القديم للوالد أن يبيع بنته ببيع الرقيق لمن يقبل زواجها لنفسه أو لأحد أبنائه (٦٤) . ويشترط التلمود لصحة هذا البيع ، بجانب هذا الشرط ، شروطاً أخرى كثيرة ، منها أن يكون الوالد في فقر مدقع قد تقطعت به الأسباب ، حتى إنه لم يجد وسيلة أخرى لسد رمقه . ولكن هذه الشروط جميعها لم تكن موضع رعاية من الناحية العملية ، فكان الآباء ينتفعون بهذه الرخصة في أوسع نطاق . بل إن هناك من الشواهد ما يدل على أنهم كانوا يطبقونها أحياناً على أولادهم الذكور أنفسهم (٦٥) .

٥ - وقد أجاز العهد القديم للإسرائيلي أن يبيع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الإسرائيلي فيصبح رقيقاً له (٦٦) . وقد اشترط التلمود لصحة هذا البيع أن يكون الإسرائيلي رجلاً لا امرأة (٦٧) ، وأن يكون قد وصل إلى

(٦٣) انظر في تفصيل ذلك صفحات ٤٦ - ٥٠ من كتابنا بالفرنسية المذكور في تعليق ٥٨ .

(٦٤) فقرات ٧ - ١٢ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج .

(٦٥) انظر في ذلك كتابنا بالفرنسية المذكور في تعليق ٥٨ ، صفحات ٥٠ - ٥٢ .

(٦٦) فقرة ١١ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية .

(٦٧) وهذا على الرغم من أن فقرة سفر التثنية المذكورة في التعليق السابق صريحة في أن هذا أثر للرجل والمرأة على السواء ، فنصها : « إذا باعك نفسه أحد من اخوانك رجلاً كان أم امرأة » بخدمك ست سنين . . . الخ » . - وقد أشرنا إلى هذا التضارب بين شرائع اليهود فيما سبق .
نظر ص ٥٧ وتوابعها .

أقصى حالات العوز والمسغبة ، وألا تكون لديه وسيلة أخرى للحياة ، فلا يباح له ذلك» إلا بعد أن يكون قد باع جميع ما يملكه من أرض وبيوت ومتاع وأكل ثمنها جميعها ، وأعوزته ضرورات الحياة ، فلم يجد لقمة عيش للغدائه ، ولا منزلاً يأوى إليه ، ولا سقفاً ينأى تحته . - ويبدو أن هذه الشروط كانت مرعية إلى حد كبير . غير أن الأزمات الاقتصادية التي كانت تضرب بجزائرها من حين لآخر وتشتد وطأتها على الفقراء والمحرومين قد ضمت إلى طبقة العبيد من الأجانب عدداً غير يسير من أحرار بني إسرائيل الذين كانت تلجئهم الضرورة إلى بيع أنفسهم بيع الرقيق^(٦٨) .

٦ - وكان من أهم مصادر الرق لديهم ، بل كان أهمها جميعاً بعد الحرب ، تناسل الرقيق ، فكانت القاعدة عند الإسرائيليين في ذلك أن الولد يتبع أمه رقاً وحرية . فابن الجارية كان يولد رقيقاً ولو كان أبوه حراً ، بل لو كان أبوه السيد نفسه ، وينتقل إليه نوع الرق الذي كان مضروباً على أمه : فإن كانت ذات رق دائم ضرب عليه الرق الأبدي وإن كانت ذات رق موقوت بأجل انتهى رقه بانتهاء الأجل .

وما كان يستثنى لدى بني إسرائيل من قاعدة تبعية الولد لأمه في رقهها إلا حالة واحدة غريبة ، وهي أن تتنازل الزوجة الشرعية لأمتها أو أمة زوجها عن فراشها على شرط أن ما تأتى به الجارية من ثمرات هذا الفراش يكون ولدأ لها هي لا للجارية التي ولدتها . ففي هذه الحالة يولد الولد حراً أى يتبع أمه الشرعية في حرثها بقطع النظر عن رق أمه الطبيعية التي جاءت به . وهذا النظام الغريب كان معمولاً به في عصورهم القديمة على

(٦٨) انظر تفصيل ذلك في كتابنا بالفرنسية المذكور آنفاً ، صفحات ٥٤ - ٥٧ .

الأخص . وقد طبق على اسماعيل بن ابراهيم من جاريته هاجر ، بحسب ما يذكره سفر التكوين (٦٩) .

* * *

وكان الرق المضروب على غير الإسرائيلي رقاً مؤبداً^(٧٠) بينما كان الرق المضروب على الإسرائيلي رقاً مؤقتاً . فإذا كان الرقيق امرأة إسرائيلية باعها أبوها فإن رقه لا يبقى إلا مادام السيد متخذاً لها زوجة أو زوجة لابنه . فإن كرهها من هي في عصمته وجب تيسير عتقها ورد حريتها إليها^(٧١) . وإن كان الرقيق رجلاً إسرائيلياً ضرب عليه الرق لسبب من الأسباب السابق ذكرها فإن رقه لا يدوم إلا مدة ست سنين بحسب ما جاء في سفرى الخروج والثنية^(٧٢) ، أو ينتهى بحلول اليوبيل الإسرائيلى (وهو الخمسينى أى الذى يحى كل خمسين سنة) أياً كانت المدة التى قضاهما فى الرق بحسب ما جاء فى سفر اللاويين^(٧٣) . فإن أبدى الإسرائيلي الذى انتهت مدة رقه رغبة صريحة فى أن يبقى رقيقاً عند سيده ، عرض أمره على القضاة ، فإن قرروا إجابته إلى رغبته ، قاده سيده إلى المدينة ، وثقب أذنه

(٦٩) اصحاح ١٦ وفقرات ١ - ١٤ من اصحاح ٣٠ من سفر التكوين وانظر التفصيل فى كتابنا بالفرنسية المذكور آنفا صفحات ٢١ - ٢٣ .

(٧٠) فقرات ٤٤ - ٤٧ من اصحاح ٢٥ من اللاويين .

(٧١) هذا بحسب ما ورد فى فقرات ٧ - ١١ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج . وأما سفر الثنية واللاويين فيجعلان حكمها حكم الرجل الإسرائيلى (انظر فقرة ١٢ من اصحاح ٦٥ من سفر الثنية وفقرات ١٠ ، ٣٩ - ٤٣ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين) .

(٧٢) فقرة ٢ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج ، وفقرة ١٢ من اصحاح ١٥ من سفر الثنية .

(٧٣) فقرة ٤٠ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين . وهذا مظهر من مظاهر التضارب فى

شريعتهم . وقد أشرنا إليه فيما سبق (انظر ٥٧ وتوابعها) .

بمنقبة دلالة على امتداد رقه . وحينئذ يصبح رقه مؤيداً كالرقيق من غير بنى .
(إسرائيل ٧٤) .

وقد قيدت الشريعة اليهودية حق السيد على رقيقه بعدة قيود كما فرضت عليه عدة واجبات حياله . فمن ذلك أنها أوجبت عليه سد حاجته في المأكل والمشرب والمسكن ، وحظرت عليه إيذاءه ؛ وفرضت عقوبات قاسية توقع على السيد في حالة العدوان : فإذا قتل عبده عوقب بالإعدام ، وإذا فقأ عينه أو كسر سنه أو أصابه بجرح من هذا القبيل كان جزاؤه أن يتحرر عبده ، فتزول ملكيته عنه . ومن ذلك أنها توجب عليه في حالة معاشرته لأمرته أن يجعلها من سراريه ، وتحظر عليه في هذه الحالة أن يبيعها ، فإن كرهها وجب عليه تحريرها . ومن ذلك أنها توجب على السيد أن يريح عبده في اليوم السابع من كل أسبوع ، وهو يوم السبت اليهودي ، وفي جميع الأعياد الدينية فلا يكلفه فيها عملاً ولا يدعه يباشر عملاً .

ولكن يظهر أن هذه التعاليم وتعاليم أخرى رحيمة من نوعها لم تكن موضع رعاية كبيرة لدى بنى إسرائيل ، وأنه قد سادت لديهم صفات القسوة على الرقيق وسوء معاملته وإرهاقه بالعمل والجشع في استغلاله وعدم التورع عن أية وسيلة للانتفاع به . حتى إن بعض الموالى كانوا يكرهون فتيانهم على البغاء للانتفاع بأجورهن .

(٧٤) انظر تفصيل ذلك في صفحات ٥٧ - ٦٠ من كتابنا بالفرنسية المذكور آنفاً .

وكانت وسائل انتقال ملكية الرقيق بإرادة سيده مقيدة كذلك بعدة قيود . فمن ذلك أنه ما كان يجوز للسيد بيع رقيقه الإسرائيلى ، وما كان يجوز له أن يبيع أمته الإسرائيلىة التى اتخذها زوجة له أو زوجة لابنه (٧٥) ، ولا أمته غير الإسرائيلىة إذا كان قد عاشها معاشرة الأزواج (٧٦) .

وكانت ملكية الرقيق تختلف عن ملكية الحيوان والجماد فى أنها عرضة لأن تصبح غير ذات موضوع مع بقاء الكائن نفسه الذى كانت متعلقة به ، وذلك فى حالة ما إذا عتق الرقيق . فى هذه الحالة يصبح حراً ، أى تزول صفة الملكية عنه . وكان ثم نوعان من العتق : أحدهما عتق جبرى يقرره القانون نفسه فى بعض الحالات على الرغم من السيد نفسه كتحرير الرقيق الإسرائيلى بعد ست سنين أو بعد اليوبيل اليهودى والرقيق الأجنبى إذا فقا السيد عينه ؛ والآخر عتق اختيارى يقرره السيد نفسه برضاه . وهذا العتق الأخير قيدته الشريعة اليهودية بعدة قيود . بل إن بعض فقهاء اليهود ليحظر على السيد تحرير رقيقه الأجنبى عملاً بظاهر النص الذى ورد فى صده فى العهد القديم (٧٧) .

(٧٥) فقرات ٧ - ٩ من اصحاح ٢١ من سفر الخروج .

(٧٦) فقرات ١٠ - ١٥ من اصحاح ٢١ من سفر التثنية .

(٧٧) « تحتفظ بهم رقيقاً إلى الأبد » ، فقرة ٤٦ من اصحاح ٢٥ من سفر اللاويين .

ملكية الأنعام عند بني إسرائيل بعد استقرارهم

في أرض كنعان

لم يكن للملكية الأنعام في هذا العصر أهميتها التي كانت لها في العصر السابق . فقد أصبحت مهنة الرعى مهنة ثانوية بالقياس إلى مهنة الفلاحة وزراعة البساتين . ومع ذلك فإن الأنعام كانت تمثل حينئذ قسما ذا بال من الثروة العامة ، وكان يشغل بتربيتها عدد غير يسير من الناس . وقد جلب الإسرائيليون معهم إلى بلاد كنعان جميع ما كانوا يملكونه في أوطانهم الأولى من قطعان الماشية ، وأضافوا إليها بعد احتلالهم لهذه البلاد جميع ما كان يملكه أهلها من أنعام . فزادت رءوس أموالهم منها أضعافا مضاعفة . ولم يكونوا في ذلك باعين ولا عادين ، بل كانوا مطبقين لتعاليم العهد القديم ، فقد نصت كتبهم المقدسة على أن جميع ما يوجد من أنعام في بلد مقهور يصبح غنيمة لبني إسرائيل (٧٨)

وكانت ملكية الأنعام لديهم قبل دخولهم أرض كنعان ملكية أسرية مختلطة ببعض مظاهر الملكية الفردية كما تقدم بيان ذلك ؛ ولكنها لم تلبث أن تحولت في العهد الذي نتحدث عنه إلى ملكية فردية خالصة . فجميع ملاك الأنعام الذين نتحدث عنهم أسفار اليهود في هذا العهد أفراد

(٧٨) لفرة ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

حقيقيون لا اعتباريون. فمن ذلك ما يذكره سفر صموئيل من ان نابال كان رجلا واسع الثراء ، لأنه كان يملك ثلاثة آلاف نعجة وألف شاة (٧٩) . وجميع المنازعات التي كانت تقع من جراء ملكية الماشية في هذا العهد والتي تحدثت عنها كذلك أسفارهم أو ضربت بها الأمثال كانت تقع بين أفراد مشخصين ممثلين لأنفسهم فحسب لا بين جماعات ولا بين أشخاص ممثلين لهيئات (٨٠) .

وكانت ملكية الأنعام تفرض على مالكيها واجبات كثيرة من أهمها أن يقدم زكاتها للاويين . وزكاة الأنعام كانت أول ما يولد من جميع أنواع الماشية التي يملكها الإسرائيلى وعاشر ما يولد لكل بقرة ونعجة وشاة (٨١) .

* * *

..
(٧٩) فقرة ٢ من اصحاح ٢٥ من السفر الأول لصموئيل .
(٨٠) انظر مثلا الاصحاح الثاني عشر من السفر الثاني من سفرى صموئيل ، وانظر كذلك آيات ٢١ - ٢٤ من سورة ص من القرآن الكريم .
(٨١) فقرة ٢٦ من اصحاح ٢٧ من سفر اللاويين .

ملكية المنقول والنقود عند بني إسرائيل

بعد استقرارهم في أرض كنعان

عرف بنو إسرائيل منذ أقدم عهودهم قيمة الذهب والفضة وحرصوا على اكتنازهما ، كما عرفوا التعامل بالنقود المتخذة من هذين المعدنين ومن غيرهما من المعادن . فالتوراة تحدثنا عن إخوة يوسف ويبيعهم إياه للاسماعيليين بعشرين مثقالا Sicles من الفضة^(٨٢) . والقرآن الكريم يذكر الكلمة الصريحة في معنى النقد المضروب إذ يخبر أنهم « شروه بثمن بخس دراهم معدودة^(٨٣) » . وعندما سمح فرعون لبني إسرائيل بالخروج من مصر حرصوا على أن يحملوا معهم سلعا كبيرة القيمة ليكتنزوها ، ويتخذوا منها رهوس أموال ، ويأمنوا بها شر الحاجة ، وتفيدهم في رحلاتهم المجهولة المصير ، فطلبوا إلى المصريين - وكان ذلك تنفيذا لما أوصاهم به موسى نفسه - أن يهدوهم آتية من الذهب والفضة^(٨٤) ، ولم يغادروا مصر إلا بعد أن أجبيوا إلى رغبتهم ، وسلبوا المصريين (بحسب تعبير سفر التكوين)^(٨٥) أنفسهم ما كانوا يملكونه من ثروات .

(٨٢) لفرة ٢٨ من اصحاب ٣٧ من سفر التكوين .

(٨٣) آية ٢٠ من سورة يوسف .

(٨٤) لفرة ٣٥ من اصحاب ١٢ من سفر التكوين .

(٨٥) لفرة ٣٦ من اصحاب ١٢ من سفر التكوين .

ويبدو أن ثرواتهم هذه قد زادت زيادة كبيرة في أثناء المدة المنصرمة بين خروجهم من مصر ودخولهم أرض كنعان ، بفضل ما كانت تدره عليهم ماشيتهم من جهة ، وما كانوا يشنونه من جهة أخرى من حين لآخر على غيرهم من غارات يستلبون فيها كل ما كانت تصل إليه أيديهم من مال ومتاع .

ولكن كل ما جمعه في أثناء مقامهم في مصر وتقلبهم في صحراء سينا لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب ما أفاءه عليهم فتحهم لبلاد كنعان . فلم يغنم بنو إسرائيل من بلاد كنعان أرضاً ومنازل وبساتين ورقيقاً وأنعاماً فحسب ، بل غنموا منها كذلك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة وما تزيد قيمته كثيراً عن ذلك من التحف والأمتعة والأثاث . كل ذلك قد أمرتهم كتبهم المقدسة أن « ينهبوه »^(٨٦) بحسب تعبيرها وألا يبقوا على شيء منه لأهل البلاد . وقد نفذوا ما أمروا به على أقصى وجه من طرق التنفيذ ؛ وقسموا غنائمهم هذه فيما بينهم ، فخرجوا من ذلك بثروات طائلة ومملك كبير .

وظهر لدى بني إسرائيل في هذا العهد من وجوه النشاط الاقتصادي طرق جديدة لم يكن لهم بها عهد من قبل أو لم تكن ذات بال في شئون حياتهم الأولى . وكان لهذه الطرائق أثر كبير في تنمية ثرواتهم التي نتحدث عنها . ومن أهم هذه الطرائق التجارة الداخلية والخارجية والصناعة بمختلف فروعها المعروفة في ذلك العهد وأعمال المصارف والقرض بفائدة وما إلى ذلك . ووجه بنو إسرائيل إلى هذه الشئون الجديدة أكبر قسط من عنايتهم ، وتفنتوا في الاستفادة منها لاستثمار أموالهم ، ولم يغادروا في نواحيها

(٨٦) قفرى ١٣ ، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

طريقا شريفا أو خسيسا من طرق الربح إلا سلوكه ، فتضخمت بذلك ثرواتهم وزادت عما كانت عليه أضعافا مضاعفة .

ويظهر أن ملكية النقود والمتاع والمنقول كانت في جميع مراحل هذا العصر ملكية فردية خالصة . بل يبدو أن صفة الفردية كانت الصفة الغالبة فيها حتى قبل استقرارهم في بلاد كنعان .

حماية الملكية عند إسرائيل

أنزلت الشريعة اليهودية الملكية بمختلف أنواعها منزلة التقديس وأحاطتها بسياسات قوى من الحماية . وفرضت عقوبات قاسية على الغاصب وسارق المنقول والمعتدى على الملكية الزراعية والعقارية وعلى حدود الأرض .

فمن بين الوصايا العشر التي كلف الله موسى أن يبلغها بني إسرائيل رجعلها دعائم رسالته النهى عن السرقة والغصب والاستيلاء على مال الغير بأى طريق وأن يمد الشخص عينيه إلى ما متع الله به أخاه من منزل أو امرأة أو عبد أو مال أو متاع أو أى شيء آخر مما يملكه (٨٧) .

ويقرر سفر الخروج أنه إذا فوجيء اللص وهو متلبس بجريمة السرقة فقتل أو ضرب حتى مات فإن دمه يذهب هدراً (٨٨) وأنه إذا لم يكن لدى السارق ما يكفى لسداد التعويض الذى يجب أن يغرمه للمجنى عليه وجب بيعه هو نفسه بيع الرقيق واستيفاء التعويض من ثمنه (٨٩) وأن التعويض المقرر هو خمسة ثيران فى مقابل كل ثور سرقه وأربعة حملاان فى مقابل كل

(٨٧) فقرتى ١٥ ، ١٦ من اصحاح ٢٠ من سفر الخروج .

(٨٨) فقرة ٢ من اصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

(٨٩) فقرة ٣ من اصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

حمل إن كان السارق قد ذبح ما سرقه أو باعه وضعف ما سرقه إن كان لا يزال حيا في يده سواء أكان المسروق ثورا أم حمارا أم حملا (٩٠) . ويقرر التلمود أن التعويض فيما عدا ذلك هو ضعف قيمة الشيء المسروق (٩١)

وقد عاقب الله « أخاب » ملك السامرة Ahab roi de Samarie على اغتصابه بستانا مجاورا لقصره كان يملكه نابوت اليزرائيلي Nabot de Jezreel بأن أهلك الملك وزوجه إيزابيل Jesabel وأهله جميعا وأرسل الكلاب والطيور الجارحة تأكل لحومهم وتلعق دماءهم ، ودمر مساكنهم ، وأوحى إلى نبيه إيلياء Elie أن يبلغ الملك وزوجه ما سيحيق بهما وبأهلها جزاء بما كسبا نكالا من الله (٩٢) .

وقد ابتل اللاويون في جهر من القول على مشهد من شعب بني إسرائيل فجعلوا لعنة الله على من ينقل حدود الحقل المجاور له ، وقال الشعب كله : آمين (٩٣) . هذا إلى العقاب الدنيوى الصارم الذى قرره شريعتهم لهذا الجرم .

(٩٠) فقرات ١-٤ من إصحاح ٢٢ من سفر الخروج .

(٩١) انظر ص ٤٥ من كتابنا بالفرنسية المذكور أنفاً والتعليق الأول في تلك الصفحة .

(٩٢) كان الملك أخاب قد عرض على نابوت أن يتنازل له عن هذا ألبستان المجاور لقصره بشئ أو في نظير بستان آخر يعطيه أباه ، فلم يقبل نابوت ذلك حفاظا على تراث أبيه . فكاد له الملك هو وزوجه بأن اتياه ظلما بأنه سب الإله إسرائيل وسب ملكها ، وأشهد على ذلك شاهدى زور فنفذ فيه حكم الإعدام رجما وقتل بنوه واستولى الملك على بستانه في قصة طويلة مفصلة في الإصحاح ٢١ من السفر الأول من سفرى الملوك وفى الفقرتين ٢٥ ، ٢٦ من الإصحاح التاسع من السفر الثانى للملوك .

(٩٣) فقرة ١٧ من إصحاح ٢٧ من سفر الشريعة .

اتساع الفروق بين الطبقات والأفراد عند بني إسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان

أتاح الاستقرار والطمانينة للذنان سادا المجتمع الإسرائيلي في هذا العهد فرصا كثيرة للثراء واستثمار الأموال . وقد أفاد من هذه الفرص أكبر إفادة بعض طبقات وبعض أفراد من بني إسرائيل ، فلكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونساؤهم وأولادهم في الترف والتبعم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر أفراد الشعب في مآكلهم ومشاربهم وزينتهم ومسكنهم وسائر شئون حياتهم ، واستعلوا على غيرهم استعلاء كبير (٩٤) .

وكان لابد لهم ، لكي يبقوا على مستواهم الاقتصادي والمعيشي ، أن يمعنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شئ . ولم يكونوا ليخشوا من جراء ذلك جزاء ولا حسابا ؛ فقد كانوا هم الصفوة المختارة الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ويحاسبونهم ولا يحاسبون ؛ وكانوا قادة الشعب وحكامه ، ويدهم الحل والعقد وعن طريقهم تساس الأمور . وكانوا لا يثورعون في سبيل الإثراء عن الالتجاء إلى أحسن الوسائل : فكانوا يأكلون

(٩٤) انظر أوصاف طبقة المترفين في معظم أسفار الأنبياء وخاصة في الاصحاح الثالث من سفر أشعياء Esaiâ إذ يصف الترف في نساء هذه الطبقة (فقرات ١٦ - ٢٤) .

أموال الناس بالباطل ، ويمدون أيديهم للرشوة ، ويسلبون أموال الضعفاء واليتامى والأرامل ، ويقرضون المعوزين من بنى إسرائيل وغيرهم يربا فاحش^(٩٥) ، ثم يستولون على أراضيهم سدادا لديونهم أو يبيعونهم ويبيعون أولادهم وزوجاتهم بيع الرقيق . فاستحالت بذلك معظم الأراضي إلى إقطاعات كبيرة يملكها عدد محدود من الأفراد والطبقات ، وتكدست كذلك معظم الثروات الأخرى في أيدي هؤلاء ، حتى لقد ضاقت بها بيوتهم ، ولم يقو البشر على حراستها ، فلجئوا إلى بيت الله ، إلى معبدهم نفسه ، واتخذوا فيه أنفاقا ومغارات وخزانات يحفظون فيها نقودهم وتحفهم وأحجارهم الكريمة والثمن من أموالهم ، حيث تكون في حراسة الإله نفسه ورعايته . فاستحال بذلك المعبد إلى « بنك » يهودى لحفظ ودائع بنى إسرائيل^(٩٦) . وكان من نتائج ذلك أن اختفت الملكيات الصغيرة أو كادت وأن هوت دهماء الشعب إلى أحط درك في البؤس والشقاء . وقد وصف ذلك النبي أشعيا Esaie في أبلغ عبارة إذ يقول : « ألا تعسا لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل ومن حقل إلى حقل ، حتى لا يكون ثم موضع قدم لغيرهم وحتى يستأثروا وحدهم بسكنى هذه البلاد »^(٩٧) .

(٩٥) مع أن الربا كان بحسب شريعتهم محرما التعامل به بين الاسرائيليين بعضهم مع بعض : « لك أن تحصل على فائدة من الأجنبي ، ولكن لا يحل لك أن تفعل ذلك مع أخيك » (فقرة ٢٠ من أصحاح ٢٣ وفقرة ٣ من اصحاح ١٥ من سفر التثنية) . - انظر كذلك ما ذكرناه عن قيام شريعتهم على التفرقة العنصرية في صفحات ٥٠ - ٥٢ .

(٩٦) انظر . Letourneau, op. cit. p. 283 .

(٩٧) فقرات ٨ - ١٠ من الاصحاح الخامس من سفر أشعيا .

اتجاهات شيوعية فى إسرائيل

وفى القرن الثانى قبل الميلاد ظهر فى بنى اسرائيل اتجاهات شيوعية يحمل لواءها جماعة الحسديين Esseniens . فقد نددت هذه الجماعة بنظام الملكية الفردية ، وما يبره هذا النظام على المجتمع من نتائج وخيمة ، ونادت بالملكية الجماعية ووجوب المساواة بين الناس فى شئون الاقتصاد . - ولكن لم يكن لآراء هذه الفرقة أثر يذكر فى الشئون الاجتماعية لبنى إسرائيل .

وقد تكلمنا بتفصيل على هذه الفرقة وما ارتضته من نظم فى مختلف شئون الحياة فى أثناء كلامنا على فرق اليهود .

انتهت الطبعة الثانية فى المحرم ١٤٠٢ هـ نوفمبر ١٩٨١م

فهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
القسم الأول : الديانة اليهودية	٥
الباب الأول : العهد القديم والتلمود	٧
الفصل الأول : العهد القديم	٩
١ - أسفار العهد القديم	٩
٢ - التوراة أو أسفار موسى أو الأسفار الخمسة	١٤
٣ - بقية أسفار العهد القديم	١٧
٤ - اللغات التي ألفت بها أسفار العهد القديم	١٨
٥ - اللغات التي ترجمت إليها أسفار العهد القديم	١٩
٦ - الأسفار الخفية عند اليهود وصلتها بأسفار العهد القديم	٢٤
الفصل الثاني : التلمود	٢٦
١ - أسفار التلمود وتاريخ تأليفها	٢٦
٢ - اللغات التي ألفت بها أسفار التلمود والتي ترجمت إليها	٢٨
الباب الثاني : العقيدة والشرعة والقصص في أسفار اليهود	٣١
الفصل الأول : العقيدة في أسفار اليهود	٣٣
١ - الذات العلية وصفاتها في نظر اليهود وفي أسفارهم	٣٣
٢ - البعث والنشور واليوم الآخر عند اليهود	٤٩
٣ - استقامة العقيدة عند بعض فرق اليهود	٥١
الفصل الثاني : الشرعة في أسفار اليهود	٥٢
١ - استيعاب الشرعة اليهودية لجميع شئون الحياة	٥٢
٢ - مظاهر الانحراف في شرعة اليهود	٥٣

- ٣ - التضارب وعدم الوحدة في شريعة اليهود ٥٧
- ٤ - الاضطراب واختلاط المسائل في شريعة اليهود ٥٩
- الفصل الثالث : القصص في أسفار اليهود** ٦٧
- ١ - موضوع القصص وطريقته في أسفار اليهود ٦٧
- ٢ - الفرق بين القصص في أسفار اليهود وقصص القرآن الكريم ٦٨
- ٣ - مظاهر التحريف في القصص الوارد في أسفار اليهود ٧٠
- الباب الثالث : فرق اليهود** ٨٩
- ١ - نظرة مجملة في فرق اليهود ٩٠
- ٢ - فرقة الفريسيين ٩١
- ٣ - فرقة الصدوقيين ٩٤
- ٤ - فرقة السامرية ٩٧
- ٥ - فرقة الحسديين ٩٨
- ٦ - فرقة القرائين و العنانيين ١٠٣
- القسم الثاني : تاريخ بني اسرائيل ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي** ١٠٩
- ١ - نظرة مجملة في تاريخ بني اسرائيل ١١١
- ٢ - الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبني اسرائيل في مصر ١٢٠
- ٣ - الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل استقرارهم في أرض كنعان ١٢٢
- ٤ - الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لبني اسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان ١٢٩
- ٥ - ملكية الأراضي عند بني اسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان ١٣٠
- ٦ - ملكية الرقيق عند بني اسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان .. ١٣٦

- ٧ - ملكية الأنعام عند بني إسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان.. ١٤٤
- ٨ - ملكية المنقول والنقود عند بني إسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان ١٤٦
- ٩ - حماية الملكية عند بني إسرائيل ١٤٩
- ١٠ - اتساع الفروق بين الطبقات والأفراد عند بني إسرائيل بعد استقرارهم في أرض كنعان نتيجة لاختلاف الملكيات.. ١٥١
- ١١ - اتجاهات شيوعية في إسرائيل : الحسدون ١٥٣
- الفهرس ١٥٥

من مؤلفات الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

كتب باللغات الأجنبية :

١ - نظرية اجتماعية في الرق .

٢ - الفرق بين رق الرجل ورق المرأة .

طبعا باللغة الفرنسية بباريس سنة ١٩٣١ وحصل بهما
المؤلف على شهادة الدكتوراه بدرجة الامتياز مع مرتبة
الشرف الأولى من جامعة باريس .

كتب باللغة العربية :

٣ - علم اللغة (الطبعة التاسعة ، مزيده ومنقحة) .

٤ - فقه اللغة (الطبعة التاسعة ، مزيده ومنقحة) .

٥ - نشأة اللغة عند الإنسان والطفل (الطبعة الرابعة ، مزيده
ومنقحة) .

٦ - اللغة والمجتمع (الطبعة الثالثة ، مزيده ومنقحة) .

٧ - علم الاجتماع (الطبعة الثانية ، مزيده ومنقحة) .

٨ - الأسرة والمجتمع (الطبعة السابعة ، مزيده ومنقحة) .

٩ - المسئولية والجزاء (الطبعة الثالثة ، مزيده ومنقحة) .

١٠ - قصة الملكية في العالم (الطبعة الثانية ، مزيده ومنقحة) .

١١ - قصة الزواج والعزوبة في العالم .

- ١٢ - مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين .
- ١٣ ، ١٤ - غرائب النظم والتقاليد والعادات (جزءان) .
- ١٥ - المجتمع العربى .
- ١٦ - الهنود الحمر (سلسلة اقرأ عدد ٨٨ ، الطبعة الثانية) .
- ١٧ - الطوطمية (سلسلة اقرأ عدد ١٩٤) .
- ١٨ - الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى (الطبعة الثانية ، مزينة ومنقحة) .
- ١٩ - ابن خلدون منشئ علم الاجتماع .
- ٢٠ - عبد الرحمن بن خلدون : حياته وآثاره ومظاهر عبقريته (ظهر فى سلسلة «أعلام العرب» التى تصدرها وزارة الثقافة) .
- ٢١ - عبقریات ابن خلدون .
- ٢٢ - ٢٤ - «مقدمة ابن خلدون» مع تمهيد وتكملة وتحقيق وشرح وتعليق (ثلاثة أجزاء ، بها نحو ثلاثة آلاف تعليق ، وفهرس تحليلى وفهرس أبجدى ، وتمهيد فى نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير وظهر فيها الفصول والفقرات التى كانت ساقطة من طبعاتها المتداولة وبلغ حوالى مائة صفحة - الطبعة الثالثة ، مزينة ومنقحة) .
- ٢٥ - فصول من «آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى» مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق .

- ٢٦ - «المدينة الفاضلة» للفارابي مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق . (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .
- ٢٧ - الاقتصاد السياسي (الطبعة السادسة ، مزيدة ومنقحة) .
- ٢٨ - البطالة ووسائل علاجها والتعليم الإقليمي وأثره في علاج البطالة (نال جائزة المباراة الأدبية سنة ١٩٣٥) .
- ٢٩ - عوامل التربية ، بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .
- ٣٠ - في التربية (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .
- ٣١ - أصول التربية ونظام التعليم (مع آخرين) .
- ٣٢ - الوراثة والبيئة (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .
- ٣٣ - اللعب والعمل .
- ٣٤ - مواد الدراسة .
- ٣٥ - حقوق الإنسان في الإسلام (الطبعة الخامسة ، مزيدة ومنقحة)
- ٣٦ - المساواة في الإسلام (سلسلة «اقرأ» عدد ٢٣٥ الطبعة العاشرة ، مزيدة ومنقحة) .
- ٣٧ - الحرية في الإسلام (سلسلة «اقرأ» عدد ٣٠٤ ، الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .
- ٣٨ - بيت الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات في الإسلام (ظهر في السلسلة التي تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة بعنوان «مع الإسلام») .

٣٩ - الصوم والأضحية في الإسلام والشرائع السابقة (ظهر في السلسلة التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان «دراسات في الإسلام») .

٤٠ - حماية الإسلام للأنفس والأغراض .

٤١ - المرأة في الإسلام .

٤٢ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، الطبعة الثالثة ، مزيدة ومنقحة) .

٤٣ - اليهودية واليهود . (الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة) .

٤٤ - بحوث في الإسلام والاجتماع .

بحوث باللغات الأجنبية طبعت على حدة :

١ - نظرية جديدة في وأد البنات عند العرب في الجاهلية (نشر باللغة الفرنسية في مطبوعات المجمع الدولي لعلم الاجتماع) .

٢ - حقوق الإنسان في الإسلام (قدم باللغتين الفرنسية والإنجليزية إلى مؤتمر اليونسكو الخاص بدراسة حقوق الإنسان المنعقد في أكسفورد سنة ١٩٦٥ ونشر في مطبوعاته بهاتين اللغتين) .

بحوث باللغة العربية طبعت على حدة وفصول من كتب :

٣ - رغبات المؤتمر الدولي الخامس للتربية العائلية (ترجمة عن الفرنسية وتعليقات ، طبعته وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٦) .

- ٤ - تعليمات تربوية للمدرسي المدارس المتوسطة والثانوية العراقية (طبعته وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٣٧) .
- ٥ - ميادين الخدمة الاجتماعية ، شغل أوقات الفراغ (ألقى في مؤتمر الإصلاح الاجتماعي سنة ١٩٤٠ ، وقامت بطبعه «رابطة الإصلاح الاجتماعي») .
- ٦ - الحرية والأخاء والمساواة في الإسلام (ألقى في مؤتمر الإصلاح الاجتماعي سنة ١٩٤١ وقامت بطبعه على حدة «جماعة التعريف الدولي بالإسلام») .
- ٧ - الصوم (فصله من مجلة كلية الآداب عدد مايو ١٩٥٠) .
- ٨ - النظم الدينية عند قدماء اليونان .
- ٩ - أقدم البحوث الاجتماعية عند قدماء اليونان .
- ١٠ - الشعر الحماسي عند قدماء اليونان .
- ١١ - النزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان .
- ١٢ - الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون وأوجيست كونت .
ظهرت هذه البحوث الخمسة الأخيرة مطبوعاً كل منها في فصله على حدة في مؤلفات «الجمعية المصرية لعلم الاجتماع» سنّي ١٩٥١ ، (١٩٥٢) .
- ١٣ - حقوق كل من الزوجين وواجباته في الأسرة المصرية (ألقى في مؤتمر لرابطة الإصلاح الاجتماعي ونشرته لجنة المؤتمرات والنلوات بالرابطة في يناير سنة ١٩٥٦) .

- ١٤ - الاختلاط بين الجنسين (ألقى في مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعي ونشرته لجنة الندوات بالرابطة في مارس سنة ١٩٥٦) .
- ١٥ - تطور البيت العربي وأثر المدينة الحديثة فيه (من مطبوعات إدارة الشؤون الاجتماعية بجامعة النول العربية) .
- ١٦ - نظام الأسرة في الإسلام (فصل من كتاب «الإسلام اليوم وغدا» نشرته مكتبة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٧) .
- ١٧ - مشكلة مصر هي قلة النسل لاكثرته (من مطبوعات إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف سنة ١٩٥٨) .
- ١٨ - كيف يتكلم الطفل (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد أكتوبر سنة ١٩٥٨) .
- ١٩ - المدرسة المصرية (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد ديسمبر سنة ١٩٥٨) .
- ٢٠ - ألعاب الطفل (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد فبراير سنة ١٩٥٩) .
- ٢١ - الوراثة والبيئة (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد أبريل سنة ١٩٥٩) .
- ٢٢ - وظائف الأسرة (كتاب الشهر من مجلة «حياتك» عدد سبتمبر سنة ١٩٥٩) .

٢٣ - الإسلام في المجتمع العربي (محاضرة عامة أقيمت في قاعة محمد عبده في مايو ١٩٥٦ وقامت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر بطبعها على حدة سنة ١٩٥٦) .

٢٤ - الرد على الشيوعيين العراقيين في افتراءهم على الإسلام في كراستهم الرمادية «الكتاب رقم ٣٢ من كتب قومية صدر في نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

٢٥ - علم اللغة (فصل من «السجل الثقافي» لسنة ١٩٦٠ ، تصدره وزارة الثقافة والإرشاد) .

٢٦ - علم الاجتماع (فصل من «السجل الثقافي» لسنة ١٩٦١ ، تصدره وزارة الثقافة والإرشاد) .

٢٧ - علم الاجتماع (فصل من «السجل الثقافي» لسنة ١٩٦٢ ، تصدره وزارة الثقافة والإرشاد) .

٢٨ - ابن خلدون أول مؤسس لعلم الاجتماع (ألقى في مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة سنة ١٩٦٢ . ونشره مع بقية بحوث المهرجان في كتاب خاص «المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» بعنوان «أعمال مهرجان ابن خلدون») .

٢٩ - مقدمة ابن خلدون (فصل من العدد الرابع من المجلد الأول من السلسلة التي تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان «تراث الإنسانية» أبريل سنة ١٩٦٣) .

٣٠ - آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى (فصل من العدد السابع من المجلد الثانى من السلسلة التى تصدرها وزارة الثقافة تحت عنوان «تراث الإنسانية» يولية ١٩٦٤).

٣١ - الحرية المدنية فى الإسلام (ألقى فى الموسم الثقافى للجامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٦٧ وطبعته الجامعة فى فصلة على حدة).
٣٢ - القرآن وحرية الفكر (ألقى فى مؤتمر أسبوع القرآن الذى عقدته جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م ، وقامت الجامعة بطبعه مع بقية بحوث المؤتمر ، وعمل فصلة منه على حدة).

٣٣ - التراث العربى وأثره فى علم الاجتماع (ألقى فى الحلقة التى عقدتها جمعية الأدباء بالقاهرة سنة ١٩٦٨ . وقامت الجمعية بطبعه مع بقية بحوث المؤتمر فى كتاب بعنوان «التراث العربى ، دراسات»
٣٤ - التلازم بين إنتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية . بحث أرسل فى أواخر سنة ١٩٦٨ إلى «المكتب الدائم لتنسيق التعريب» الملحق بجامعة الدول العربية ، ينطوى على إجابات على أسئلة وجهها المكتب إلى صاحب البحث .

٣٥ - الوراثة وقوانينها وآثارها فى الفرد والأسرة والمجتمع (فصلة من العدد الثانى من مجلة جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م).

٣٦ ، ٣٧ - التعليم الإقليمي وأثره في علاج البطالة ؛ البطالة بين طبقة المشتغلين بالزراعة : أسبابها ووسائل علاجها (بحثان ألقيا في المؤتمر الذي عقدته جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٦٩ لدراسة مشكلة البطالة في السودان ، وطبعاً مع بقية أعمال المؤتمر) .

٣٨ - الملكية الخاصة في الإسلام (ألقى في الموسم الثقافي سنة ١٩٦٩ لجامعة أم درمان الإسلامية وقامت الجامعة بطبعه مع بقية بحوث الموسم وعمل فصلة منه على حدة) .

٣٩ - التكامل الاقتصادي في الإكلام (بحث قدم إلى مجمع البحوث الإسلامية ، بدعوة خاصة من المجمع ، وألقى في مؤتمره السادس في مارس ١٩٧١ . وقام المجمع بطبعه في كتاب على حدة) .

٤٠ ، ٤١ - المرأة والأسرة في الإسلام ، الحرية المدنية في الإسلام . بحثان ألقيا في «الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي» المنعقد في مدينة قسطنطينية بجمهورية الجزائر في شهر أغسطس سنة ١٩٧٠ ، وطبعاً مع بقية بحوث الملتقى في كتاب بعنوان «محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي» .

٤٢ - ٤٤ - اللغة العربية في الوطن العربي : أهميتها وتاريخها ؛ نظام الطلاق في الإسلام ؛ نظام الاقتصاد في الإسلام (ثلاثة بحوث أرسلت إلى «الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي» المنعقد في مدينة وهران بجمهورية الجزائر من ٢٥ - ٧ - ١٩٧١ إلى

أول أغسطس ١٩٧١ ، وطبعت مع بقية بحوث الملتقى في كتاب بعنوان «محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامى» .

٤٥ - موقف الإسلام من الأديان الأخرى والرد على ما يفتره بعض مؤرخى الفرنجة وبعض المستشرقين على الإسلام فى هذا الصدد (بحث ألقى فى «الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامى» المنعقد فى مدينة الجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية من ٢٠ - ٧ - ٧٢ إلى ١١ - ٨ - ٧٢ ، وطبع فى الجزء الثانى . صفحات ٣٩٣ - ٤٢٨ مع بقية بحوث المؤتمر فى كتاب من خمسة أجزاء) .

٤٦ - واقع التشريع اليوم فى العالم العربى ومدى انحرافه عن روح الشريعة الإسلامية ونصوصها وعن تقاليدنا وعرفنا الخلقى . بحث أرسل إلى «الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامى» المنعقد فى مدينة «تيزى أوزو» بالجمهورية الجزائرية من ١٠ إلى ٧٣/٧/٢٠ .

٤٧ - أثر تطبيق النظام الاقتصادى الإسلامى فى المجتمع . من بحوث «مؤتمر الفقه الإسلامى» المنعقد فى الرياض سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) وطبع مع بقية بحوث المؤتمر .

٤٨ - معجم العلوم الاجتماعية : أصدرته «الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو)» . وقد حرر الدكتور على عبد الواحد وفى ٣٤ أربعة وثلاثين مصطلحاً من مصطلحات علم الاجتماع فى هذا المعجم . وراجع جميع مصطلحات علم الاجتماع

التي حررها غيره وتبلغ حوالى ٣٧٠ ثلثائة وسبعين مصطلحاً ،
وأحال المحررون على مؤلفاته فى نحو ١٤٥ مائة وخمسة وأربعين
مصطلحاً .

٤٩- الصيام فى الإسلام والشرائع السابقة (محاضرة من
محاضرات «الدروس الحسنية الرمضانية» لسنة ١٣٩٤ هـ . وهى
المحاضرات التى جرت عادة جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب
أن يدعو لإلقائها فى شهر رمضان عدداً من العلماء من المغرب ومن
البلاد العربية والإسلامية . وتلقى هذه المحاضرات فى القصر الملكى
أمام جلالة الملك نفسه ، ويدعى لسماعها كبار رجال الدولة والجيش
والقضاء وأعضاء البعثات الدبلوماسية فى المغرب وعدد كبير من
الفقهاء والعلماء وسراة القوم من المغاربة وغيرهم . وقد قامت
وزارة الأوقاف والشتون الإسلامية فى المغرب بطبع محاضرات هذا
الموسم فى مجلد واحد ، وتشغل هذه المحاضرة صفحات ٢٦٧ -
٢٨١ من هذا المجلد .)

٥٠- سماحة الإسلام فى مناهج الدعوة إلى الله . بحث نشر فى
مجلة «المعهد العالى للدعوة الإسلامية» بجامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٦٨ م ، وقام المعهد بعمل
فضلة منه على حدة .

٥١ - نداء المخاطبين في القرآن ، أسرارہ وبلاغتہ . بحث نشر
في مجلة «كلية اللغة العربية» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
 بالرياض عدد ١٣٩٨ هـ ، وقامت الكلية بعمل فصلة منه على حدة .

٥٢ - لا يطل دم في الإسلام . بحث نشر في مجلة «كلية الشريعة»
 بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد ١٣٩٨ هـ ،
 وقامت الكلية بعمل فصلة منه على حدة .

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٩٩

مطبعة نهضة مصر

(إصلاح أخطاء مطبعية)

(اقراء)

(المصنعة)

آبني ١١١ ، ١١٢ من سورة البقرة

٥٠ تعليق ٢٩

١ ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً

٥٨ سطر ٨

٢ ... أصحاب القرية إذ جاءها ...

٢٨ تعليق ١٩ سطر ٢

١ أصحاب الجنة إذ أقسموا ليضربنهم مصيحين

٢٨ تعليق ١٩ سطر ٥

٢ ... خاوية ...

٢٨ تعليق ١٩ سطر ٦

٢ ...

٧٨ سطر ١١

